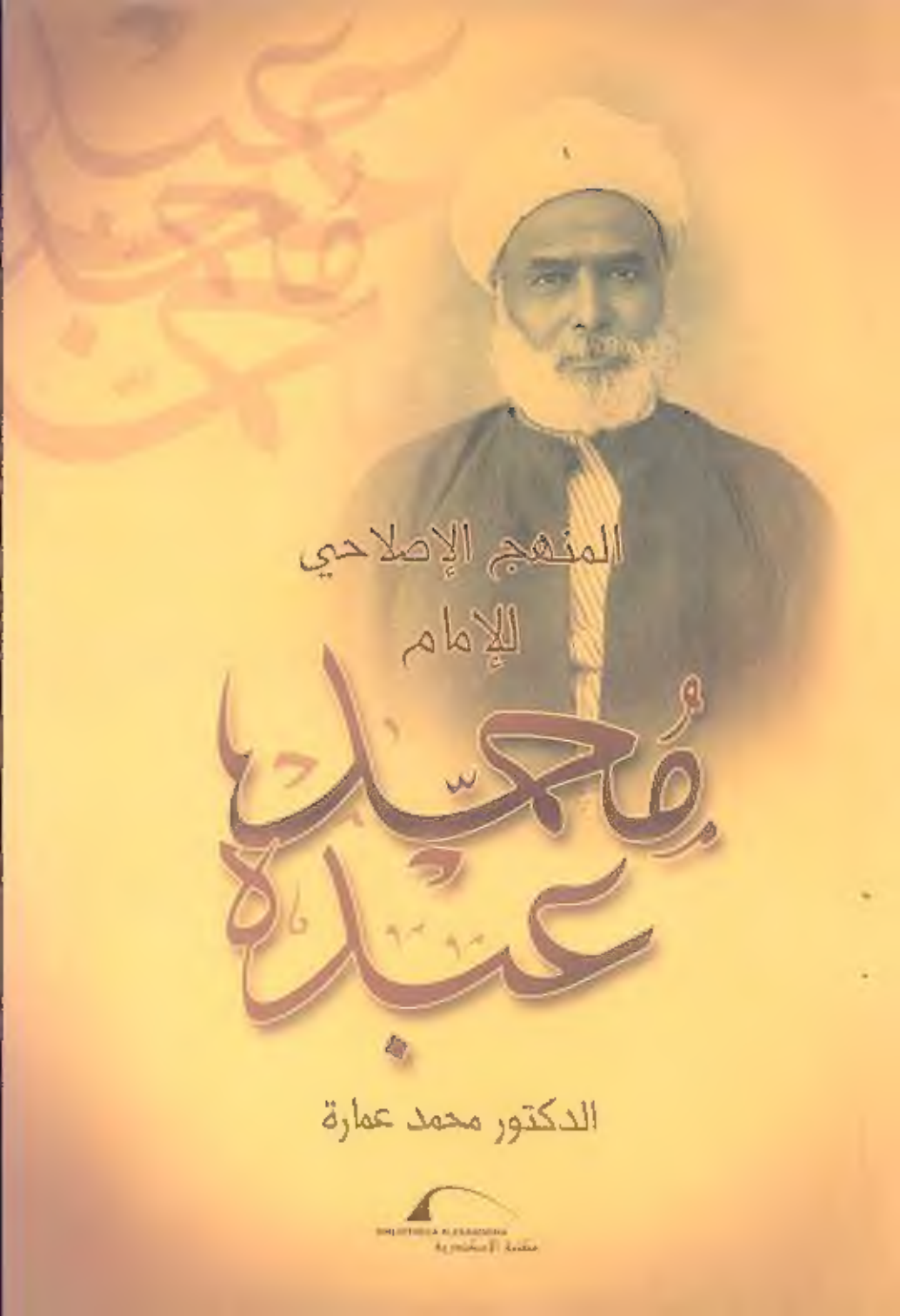

المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده

الدكتور محمد عمارة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

المنهج الإصلاحي

للإمام محمد عبده

دكتور محمد عمارة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

٢٠٠٥

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء- النشر (فان)

عبده، محمد، ١٨٤٩-١٩٠٥م

المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده/ محمد عمارة - الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٥م. ص.سم.

تدمك ٧-٣٢-٦١٦٣-٩٧٧

١- عبده، محمد، ١٨٤٩-١٩٠٥م. ٢- الإسلام- حركات الإحياء والإصلاح والتجديد.

٣- المصلحون الاجتماعيون

أ- العنوان ب- عمارة، محمد.

ديوي - ٩٢ ٢١٣٫٤٨٤ ٢٠٠٥٢٦١٨١٧

ISBN 977-6163-32-7

حقوق المؤلف © مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٥، جميع الحقوق محفوظة

الاستغلال غير التجاري

تم إتاحة المعلومات الواردة في هذا الكتاب للاستخدام الشخصي والمنفعة العامة لأغراض غير تجارية، ويمكن إعادة إصدارها كلها أو جزء منها أو بأية طريقة أخرى، دون أي مقابل ودون تصاريح أخرى من مكتبة الإسكندرية، وإنما يطلب الآتي فقط:

- يجب على المستفيد مراعاة الدقة في إعادة إصدار المصنفات.
- الإشارة إلى مكتبة الإسكندرية بصفتها «مصدر» تلك المصنفات.
- لا يعتبر المصنف الناتج عن إعادة الإصدار نسخة رسمية من المواد الأصلية، ويجب ألا ينسب إلى مكتبة الإسكندرية، وألا يشار إلى أنه تم بدعم منها.

الاستغلال التجاري

يحظر إتاحة نسخ متعددة من المواد الواردة في هذا الكتاب، كله أو جزء منه، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إتاحة المواد الواردة في هذا الكتاب، يرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب ١٣٨ الشاطبي، الإسكندرية ٢١٥٢٦، مصر. البريد الإلكتروني secretariat@bibalex.org

المحتوى

مقدمة ٥

١ - بطاقة حياة ٩

٢ - الوسطية ٣٥

٣ - في نظرية المعرفة ٥٣

٤ - مقام العقل، وحدوده ٦٥

٥- علم السنن والقوانين الاجتماعية ٨٣

٦ - عن الدين والدولة ١١١

٧ - الأسرة والمرأة ١٢٧

خاتمة ١٥٣

المصادر ١٥٦

وغالباً ما يشعر هو ومنْ يعرفه أن «عرْض» حياته أعمق من «طولها»، حتى وإن كانت سنوات عمره عديدة مديدة؛ إذ هو مشغول آناء الليل وأطراف النهار بالأعمال أكثر من اشتغاله بالأقوال، ويرنو ببصره وبصيرته إلى معالي الأمور دون غيرها، وتضنيه جواهر الأشياء الباقية لا مظاهرها الفانية، ويضرب صفحاً عن القيل والقال، وإن نال منه الذي قيل والذي قال.

ومع ذلك فإن من حاله هكذا ـ بالرغم من ذيوع صيته وعلو منزلته ـ يظل بشراً من البشر، يجري عليه ما يجري عليهم من الصواب وإصابة وجه الحق حيناً، ومن الخطأ والتجافي عن الصواب حيناً آخر، ولقد كان هذا هو حال الإمام محمد عبده.

كان الأستاذ الإمام رائداً فذاً من رواد الإصلاح والتنوير، وعلماً من أعلام الدعوة إلى التجديد على أكثر من صعيد، ليس في مصر وحدها، وإنما في العالمين العربي والإسلامي. وبعد مرور قرن كامل من الزمان على وفاته ما تزال أغلبية أفكاره واجتهاداته في الإصلاح والتجديد تنبض بالحياة كأنها بنت الأمس القريب، وما تزال النخب الفكرية والثقافية والسياسية مشغولة بالقضايا ذاتها التي انشغل بها الأستاذ الإمام. وإذا كان الزمن ذهب ببعض آرائه

واجتهاداته، وطوتها التغيرات الاجتماعية والسياسية التي توالت على مدى القرن المنصرم، فلا يزال بعض آرائه واجتهاداته باقية، محتفظة بصلاحيتها للتطبيق في الواقع الراهن. ويبقى الأمر المهم متمثلاً في مدى قدرتنا على الاستفادة من إسهاماته، والمضي قدماً من أجل تحقيق أهدافه التي لم يدركها في حياته، وكيف ننقلها من حيز الأماني إلى حيز التطبيق العملي.

ومن هذا المنظور تأتي مبادرة مكتبة الإسكندرية للاحتفاء بذكرى مرور مائة عام على وفاة الأستاذ الإمام. وتأتي هذه الاحتفالية في إطار الاهتمام الذي توليه المكتبة برواد النهضة والإصلاح في العالم العربي؛ احتفاءً بهم، وتقديراً لجهودهم، وإحياءً لذكراهم، وتعريف الأجيال الجديدة بمآثرهم الفكرية والثقافية، وأيضاً لدعوة المفكرين والكتاب إلى الحوار العلمي حول ما قدموه من آراء واجتهادات؛ كي يسهموا بدورهم في مسيرة النهضة والإصلاح.

وبهذه المناسبة فقد قامت المكتبة بالترتيب لإعادة طباعة الأعمال الكاملة للإمام. ونظراً لأنها تستغرق عدة أجزاء؛ فقد ارتأينا أن يقوم من كرس أكثر من سبع سنوات من عمره لجمع هذه

الأعمال وتحقيقها، وأعرف الناس ـ على حد علمنا ـ بأعمال الإمام «وهو الأستاذ الدكتور محمد عمارة» بإعداد هذا الكتيب ـ الصغير نسبياً ـ لتقديم الإمام ومشروعه الإصلاحي إلى أكبر عدد من القراء، راجين أن يسهم هذا في تعريف الأجيال الجديدة بالمآثر الفكرية والثقافية والإصلاحية لواحد من أهم رواد الإصلاح والدعوة إلى التجديد في عالمنا العربي والإسلامي خلال القرن الماضي.

إسماعيل سراج الدين
مدير مكتبة الاسكندرية

١

بطاقة حياة

هذه الصفحات القليلة ليست ترجمة تقليدية لحياة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ١٢٦٦-١٣٢٣هـ/١٨٤٩-١٩٠٥م فلقد وضعت حياته العديد من الترجمات، على أسس متعددة ومتباينة من المناهج الخاصة بالترجمة لحياة العظماء والمفكرين والحكماء.

وبالرغم من أن لنا العديد من الملاحظات على بعض ما كُتب عن حياته من تاريخ، إلا أن المقام الذي نحن فيه ليس مقام الترجمة المستفيضة لحياته الخصبة، والغنية بالعبر والمثل والدروس. وإنما الأمر الذي نحن بصدده هو تقديم بطاقة لحياته الفكرية والعملية - إن جاز هذا التعبير - ففي سطور شديدة الإيجاز، سنكشف أحداث حياته الفكرية والعملية، مبرزين أهم قسماتها، واضعين اليد على عوامل تكوين هذه القسمات، مشيرين إلى درجات التطور التي حدثت له في المراحل التي مرت بها حياته. وفي كل ذلك فنحن نستفيد من كل ما قرأناه عما كتب عنه. وبالدرجة الأولى تحتكم إلى أعماله الفكرية هو، بعد الجمع لها، وهو

ما يحدث للمرة الأولى - وبعد التحقيق العلمي لنصوصها كي تتميز عن نصوص غيره - وهو ما يحدث أيضاً للمرة الأولى - وهما الأمران اللذان أتاحا لنا تصحيح العديد من تواريخ الأحداث الفكرية والعملية التي شهدتها حياته، والتي أخطأ في كثير منها من كتبوا له وعنه بعض الترجمات.

ولقد أعاننا على هذا التصحيح أيضاً ما أتاحه لنا جمع أعماله وتحقيقها؛ ومن ثم اكتمال معالم فكره في حركته وتطوره، وما أتاحه لنا ذلك من تقديم دراسة عن فكره السياسي والاجتماعي، نعتقد أنها قد حسمت ذلك الجدل والتخبط، الذي لازم الحديث عن هذا الجانب من آثاره، ما يزيد على قرن من الزمان.

«فبطاقة حياته» الفكرية والعملية التي نقدمها في هذه الصفحات القليلة، هي ثمرة لجهد من سبقنا في الترجمة له، ولتلك الإضافات الأساسية الجديدة التي يقدمها جمع أعماله وتحقيقها، وما أتسره هذا الجمع والتحقيق، من تقديم الصورة الدقيقة والمتكاملة عن أحداث حياة هذا المفكر الكبير.

أما صفحات هذه «البطاقة»، فإنها تتسلسل مع تطور الحياة التي ترصد معالمها وقسماتها؛ لتسجل مراحل هذا التطور، ولتقدم لنا عن هذه الحياة صفحات ست:

١- تكوين صباه، والفترة التي كان يصدّه فيها عن طلب العلم ذلك المنهج الجامد الذي كان عليه التعليم بالأزهر في ذلك الحين.

٢- إشراقة التصوف الذي اجتذبه بواسطتها خال أبيه الشيخ درويش خضر، فمنحه بها الثقة في إمكانية تحصيل العلم وضرورة التعليم وجدواه.

٣- قيادة جمال الدين الأفغاني ١٢٥٤-١٣١٤هـ/١٨٣٨-١٨٩٧م له، من درب التصوف والتنسك إلى ساحة الفلسفة والحكمة والعمل السياسي، في سبيل الوطن والشرق والإسلام.

٤- المرحلة الأولى التي حمل فيها مسئولية دعوة الإصلاح بمصر، بعد نفي أستاذه جمال الدين، ولكن بمنهجه الخاص والمتميز، وما انتهت إليه من مشاركته العرابيين في الثورة، ثم السجن، والنفي، بعد هزيمتهم في سنة ١٨٨٢م.

٥- مرحلة المنفى، ورحلته من المشرق إلى الغرب، ثم من الغرب إلى الشرق، والعودة إلى مذهبه الأصلي المتميز في طريق الإصلاح.

٦ ...ر ... ...ي ... ...ك. ...ه ... ...ي ...
...لام ... ...
... ...
... ...

...

...لنسخة الأولى

... ...يخ ...محمد ...ه ... ...ه ...
... ...
... ...
... ...

الصفحة الثانية

في هذه الفترة التقى الشيخ دروس بحضرة [illegible] وهو
صوفي كان على [illegible] سمع منه، فأخذ يتردد عليه ويحضر
حلقته ويقرأ في [illegible] كتاب الصوفية فعدل به
سريعاً إلى [illegible] وعاد إلى الجامع الأحمدي سنة
١٨٦٥م ١٢٨٢هـ وبدأ يفكر في [illegible] كي يتخير
الجامع الأزهر ويجلس للتدريس حيث [illegible] في صباح
يوم الثلاثاء غرة شهر [illegible] سنة
سبعة (سنة ١٢٨٢هـ) كنت أصابع بين الصفين وأقرأ [illegible]
[illegible] وأنا [illegible] بشيء لكن [illegible]
[illegible] فلما رفعت [illegible] فإذا [illegible]
[illegible] فقلت له: أين [illegible]؟
[illegible] فأشار [illegible] فعدلت [illegible]
[illegible] فجلست على [illegible] في [illegible]

ذهب إلى لاهاي في فبراير ١٨٣٦م شوال ١٢٥٢ هـ
وكان الأمير [illegible] يرعى محفلاً، وحضر صوفي في
مجلسه من الشرعيين، وحضر محمد عبده دروس كل من

حزبين يتسمع في حزب سعدي شقفة ، وسعيد عكاشة ، والرافعي ، وحمروني ، ومطرناسي ، والبحراوي ، ولكنه ينحاز إلى حزب الصوفي وكان تلميذ الشيخ حسن رضوان (المتوفى سنة ١٨٩٢م سنة ١٣١٠هـ صاحب المخطوطة "الروض المغدوق المستطاب" وكان من هذا الحزب الشيخ حسن القطبي والشيخ محمد السيباعي

الصفحة الثالثة

لأفعى مصر تنمرد سالبة وتصاب به بعد خمسة سنة ١٨٨١م ١٢٨٨هـ وتصاب بمحمد عبده ولا يحتسبه سوى غرام من [illegible] حسن [illegible] لأجزاء

[illegible] أرجوزة [illegible] وكان فيها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] مصر [illegible] لا [illegible] التي [illegible] مصر في [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

الصفحة الرابعة

في ... سنة ١٨٧٩م ١٢٩٦هـ نفي الأفغاني من مصر ... لأنه من ... في ... وحدث إقامته بمدينة المحمة لمصر»

في سنة ١٨٨٠م (أوسط سنة ١٢٩٧هـ) ... ١٢٤٩ ١٣٢٩هـ / ١٨٣٤ ١٩١١م ... لمصر ... عهد من الخديوي توفيق ١٢٦٨ ١٣٠٩هـ ١٨٥٢ ١٨٩٢م على الإسلام ... من قرنه و... "... في ١٩ ... ٩ ... بتحريره (محرر أول الصحيفة ... وبدلي ... لرقابه على مطبوعات

في ١٨ مارس سنة ١٨٨١م (٢٨ من ربيع الآخر سنة ١٢٩٨هـ ...

في هذه الفترة ... بالشرق و ... في ... و ... الفرق بينهما و ...

[illegible]

الصفحة الخامسة

[illegible] في ٢٤ [illegible] سنة ١٨٨٢م [illegible] سنة ١٣٠٠ هـ، وكانت سنة [illegible] بعد [illegible] ١٨٧٩م [illegible] حتى [illegible] الأفغاني من [illegible] في [illegible] في [illegible] سنة ١٨٩٣م.

[illegible] صفحة [illegible] [illegible] الأفغاني في [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في مقدمة كتابه حول كتاب الفتوح للدينوري، يتناول [illegible] منهج [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

نسوي ١٢٥٥ ١٣٤٣هـ /١٨٣٩ ١٩٢٤م ودخل قصبة الأستا
الإمام الشيخ محمد بحر ... بالحكومة والأحزاب
على أن يسير هذا المجلس وفق لائحة وقوانين الأساسية حتى
وحاشيته في ... يحاربون بإسم الأمة أعضاء هذا ... المجلس
وإنا لأعرف بسمعكم من غيره لأنهم ... دون
بينهم دون أوامر الشعوب التي تسعها حكمهم ... لا يرتاح
عواطفه قلوبكم.

صفحات ... خالد ... عبده ...

وثيقتان ... الإمام محمد في ... الأخير
وفي هذه الوثيقة ... الأخلاق ... معرفة
... الأمة ... الأمة لاختلاف ... الأهواء
والأغراض ... وتحكيم الشريعة ... وتعليم ... الذي
يرضي عنه الإخبير ويرحبوا به لأنه يسع لهم الهدوء ... الأمة

وثانيهما ... الأستاذ الإمام ... الأمة ... الشيخ
... في ... الأزهر ... بعض ... الأزهر
... من ... الأزهر ...

...

في هذه الفترة من حياته سافر إلى جرجا فمصر عدة مرات ...
... ١٩٠٣م / ١٣٢١هـ، ومنها عرج على بوسف وأخرته ثم صفقه ...
... ١٩٠٥م

... في هذه المرحلة بدأ دروسه في تفسير القرآن الكريم بالجامع ...
... سنة ١٣١٥هـ، ... سنوات، أي حتى وفاته، وبلغ في تفسير من ...
... حتى الآية ١٢٥ من سورة النساء، وكان الشيخ رشيد ...
... ١٢٨٢ هـ ١٣٥٤هـ / ١٨٦٥ ١٩٣٥م يدرس متخصصًا في تدريس ...
... ٩٠ ... حتى ...
... لأول سنة ١٣٣٠هـ، ١٧هـ من يونيو سنة ١٩١٢م)، وبعد ذلك ...

[illegible]

مشروع الإصلاح الأزهري ...

في مارس سنة ١٩٠٥م (محرم سنة ١٣٢٣هـ) صدر من مجلس إدارة الأزهر احتجاجاً على مؤامرات الخديو عباس التي حال بها دون سير الإصلاح في هذه الجامعة الكبيرة

[illegible]

وفي سنة ١٩٠٥ م [illegible] سنة ١٣٢٣ هـ [illegible] الإصلاح [illegible]

٢

الوسطية

مشروع حضاري للإصلاح بالإسلام

لأن الوسطية الإسلامية هي الشرط في هذا الإسلام نهج
إسلامي في الإصلاح لأنها هي جامعة بين عناصر الخير
والصلاح في أقصى درجاته، لهذا كان الأستاذ الإمام محمد عبده على رأس دعوة الإصلاح،
والوسطية واضحة في كل آرائه التي تعالج قضايا العصر
وتتعمق في بحث المشاكل

فهي الوسطية الإسلامية بمثل سماحته وقيمه التي تعد
بحق هي الخصائص التي يختص بها المنهج الإسلامي عن المناهج الأخرى
والمذاهب والشرائع والفلسفات، بها استمرت الحضارة الإسلامية في كل
عصورها وتعاقب الأجيال وتطاول الدهور، حتى استطاعت
أن هذه الوسطية هي سمة المنهج الإسلامي وخصائصه
التي اكتسبها الأمة الإسلامية بأسرها صورة وبنية قبل المنهج وبنية
رؤيته

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

...ل «العدل» - والوسطية هي العدل بين طرفين - لا يعدل ...
...
...

لأساسي ، يتوقف [illegible] ومرتكزاته عند محمد عبده
ومدى [illegible] لإسلامية ومنهج التفكير الفكري ومنهج
لإصلاح بالإسلام

٠٨

[illegible] لإصلاح [illegible] محمد عبده [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ثم تحدث عن [illegible] بوسطيته. التي تحار [illegible] منهجه الإصلاحي [illegible] في منهج الإسلام، [illegible]

فمنهج صهر الإسلام، لا روحاً مجرداً ولا جسداً جامداً، بل مزيج وسط بين ذلك، جمع من كلا الجانبين بنصيب. فتوافر له من ملائمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره، وتميز بسمتي ثبات [illegible] وعرف به ذلك خصوصاً اليوم، وهو ما درسه الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية»[2]

[illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible]

في سياق حديثه عن [illegible] يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، فقال رحمه الله:

«أي على هذا النحو من الهدى جعلناكم أمة وسطا

ثم علل بعض هذه الوسطية الإسلامية في [illegible] فقال: إنها هي جعلها منهجا في [illegible] الإصلاح فقال:

«فالوسط هو العدل والخير، وذلك لأن الوسط هو المحدد على المطلوب في الأمر بقرب، والمنقص عنه بتفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الحد: فهو شر ومذموم، والخير هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما»

ولكن ما الخير لغة؟ وهل الوسط على لغة الخير مع أن المراد هو المقصود؟ ولأي شيء يدل عليه بالاسم؟

والجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن الوجه الأخير هو المشهد الحسي الأتي، فإن الشاهد على شيء لا بد أن يكون عارفا به، ومن كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضا

وشبيهما أن في لفظ الوسط إشعارًا بالسببية، فكأنه
دين على نفسه أي بالمسلمين خير وعدوان لأنهم
وسط، يسوا من أرباب تعبو في لدين المرضى، ولا
من رباب التعصب المفرطين، فهم كذلك في العقائد
والأخلاق والأعمال

ثم مضى الأستاذ الإمام إلى الحديث عن أن هذه الوسطية
الإسلامية قد حدثت ثورة على شتى ألوان التعصب والإفراط والتفريط
في شتى مناحي الحياة ولأسباق تفكيره التي سبقت عصره
الإسلام [illegible] لإسلام على نفسه

فمنهم من تقضي عليه تقاليده بدينة الخصمة، فلا فهم له لا
لخطوط خطيرة، كاليهود والمشركين ومنهم من حكم
عليه تقاليده بالروحانية الخالصة، وترك الدنيا وما فيها
من أسباب جسمانية، كالنصارى والمتصوفة وطوائف
من وثنيي الهند أصحاب الرياضيات

والأمة الإسلامية فقد جمع الله لها بين الجانبين
الجانب الروحي والجانب الجسماني. فهي روحانية
جسمانية، وإن شئت قلت: إنه أعطاها جميع الحقوق

لإنسانية، فإن الإنسان جسم وروح، حيوان وملك، فكذلك قد جعلتكم أمة وسطا لتعرفوا الحق وتعلموا الخلق «لتكونوا شهداء على الناس» فرطوا في حق الدين، وأفرطوا في حق الروح، وكنتم أنتم الذين تشهدون على الشرطين المتغلطين، القائلين «إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» فانتهم جئتم إلى الهيئة وقصرتم على تسعة دهم فخرجتم من مراتب الروحانية، وتشهدون على المتصوفين المتعبدين في الدين القائلين بعدم وجود الحس للأرواح وعقوبة لها. فعلمتم بتخصيص الله بالتحي عن جميع حالات الجسمانية وتعذيب الجسد وهضم حقوق النفس، وخروجها من جميع ما تعوده الله في هذه الحياة، تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن حدة الاعتدال. وحملوا على روحهم بمحبتهم على جسدهم وقوتهم حتى صاروا يشهدون على هؤلاء وهؤلاء. وكنتم لأمم كلها شهداء عليكم ورسولكم في الأمور كلها، ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم الذي ليس بعده كمال لأحد في

يعطي كل ذي حق حقه، يؤدي حقوق ربه، وحقوق نفسه، وحقوق جسمه، وحقوق ذوي القربى، وحقوق سائر الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، كما كان الرسول [illegible] هو المثل الأكمل مرتبة الوسط، وقد تكون هذه الأمة وسطًا باتباعها له في سيرته وشريعته، وهو القاضي على الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ودنياهم، أو أحدا أحدو المدعين

فكما تشهد هذه الأمة على الناس بسيرتها وارتقائها الروحي وأنهم قد ضيعوا عن نقصها، يشهد لها الرسول بما وافقت فيه سنته، وما كان لها من الأسوة الحسنة فيه، فأنها استقامت على صراطه المستقيم فكذلك قد يتخلص لكم وصف الوسط في حقكم على العمل بهدي الرسول، واستقامتم على سنته وأمره، بحرفكم عن هذه الجادة، فالرسول بسنته وسيرته حجة عليكم فأنتم بعض من أمته التي وصفها الله في كتابه بهذه الآية، وبقوله "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن

المكثرون والمؤمنون بالله عز وجل ١١٠ من المخرجون
بالابتداع من الوسط ويكونون في حد التطرف [٣]

[illegible] في منهج الإسلام في صفة الأمة المسلمة وهي
سمة سلامة الإسلام في تحقيق وهي [illegible]
تحقيق الإسلام بسرعة الإسلام وهي [illegible]
الإسلام وهي [illegible] المتقية المسلمة
الإسلام

* * *

وفي معرض [illegible] الإمام محمد عبد [illegible] الإسلام
[illegible] في [illegible] حديث [illegible]
[illegible] أولئك الذين في الإسلام على الدين وعلى
الوسطية الإسلام [illegible]

الحدة في الإسلام مقدمة على الدين أو من الخيبة
المحققة بكل تحقيق بعد الله ورسوله، وبلا قيمة
من رشد، ويتعلم منه من رشد، فهي - مع ذلك لا

[٣] [illegible]

...حده عن كسبه، ولا حرمه من سمع به، ولا موجب عليه تفتيش لرشدة ولا حتمه في مرتبة الامتثال ما فوق الاستطاعة. صاحب هذا النص - بشر - لم يقل "ضع ما شئت وتعالى"، ولكن قال من استشاره فيما يتصدق به من ماله: "لثلث، والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس".

والقاعدة قد عممت "صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان" فترى النص قد راعى في حكمه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح.

أباح الإسلام لأهله التمتع بنواع الزينة، والتوسع في المطعم والمشهيات، على شريطة القصد والاعتدال، وحسن النية، والوقوف عند حدود الشرعة، والمحافظة على المروءة. جاء في الكتاب العزيز: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون" قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها

وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾
(الأعراف ٣١ ٣٣) ووضع قانون الأخلاق وخطط لنا
في قوله ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾
(الإسراء ٢٧ ٢٨).

وحتى على المؤمن أن يعمل في نصف آخرته فيعيش
دنياه ويسعى لنفسه فيها، فذكرنا بما قصه علينا أن
لآخرنا بكل نصيبها، مع النصح بعدم البغي في الأرض
فإن الله لا يحب المفسدين ﴿ولا تنس نصيبك
من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد
في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص ٧٧)

فترى أن الإسلام لم يحرم الحرص حتى، كما أنه هو
الروح المشروع كما هو الذي جمع للأمة أجزاء
حقيقتها، وأعاده جسدا واحدا، لا جسدان فحسب، ولا
مكونات بحت جمعته من شتى أنحاء كما هو من هل

لآخرة، وسبقه من أهل هذا العالم حسبما كان
دعوة كل نبي منهم بوحي الله ليكون سبيلا
وهداية في قوله «هو الذي خلق لكم ما في الأرض
جميعا» (البقرة، 29) - قد أطلق القيد عن قوله ليصل
من رقة الجهد في استنهاض وتحريض مطلوبه على
التأني، فلا غرو فيها حث عليه فيما تعلقه خير،
وخدمة سبيل وتقصد نفعا، وليس في معرفة الإنسان
أن يتعب نفسه تعلقا بحد مجهود، وانتهى به
سعيه إلى غاية لا مطمع لمرتقاه فوقها من حقيقة هذه
الممكنة من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه،
إلى ما شاء الله أن يترقى بدون حد معروف!!

هذا هو الذي لأجله تحمل هذه المشقة على الإنسان
جرمعة التي هي خصيصة من خصائص الإسلام، فليست
من قسمات منهاج الإسلامي في الإصلاح
وإصلاح الاجتماع الإنساني كما تحدث عن بعض هذه
بوصفة إسلامية، وغير منهجه الإصلاحي فيها

٣

في نظرية المعرفة

[illegible] لا يستطيع [illegible] وحده من [illegible] وهي [illegible] لا [illegible] [illegible] لإلهام

وقد أشار الإمام محمد عبده في حديثه عن هذه النظرية إلى [illegible] [illegible] [illegible]

بخلاف الإنسان، فإنه يكمل فيه بالتدريج في زمن
غير قصير

وإنشاء هذه العقل حتى الإنسان يعيش مجتمعا،
ويتم بعض الإلهام والوحدات المكتسبة مع حس ظاهر
لهذه الحياة الاجتماعية كما تعقل وتعمل،
فتحدد له هذه هي التي على من هذه الحس والإلهام،
وهي تعمل لدى تصحيح غلط حواس وشاعر وتبين
ذلك، وإنك لا تقدر أن تكبر على أحد ضعيف
وترى تعود مستسلم في يده معوجة، وتقدر أن تدوق
حلوا مرا، والعقل هو الذي يحكم بفساد هذه الأمور

والهداية التي يعطيها الله تعالى لعقل في تركه كما
تعطي حواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه
وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية، ويستبدل
بهذه الهدايات مستمدة الضلال فتجعلها مسخرة
لشهواته وأهوائه، حتى يورده موارد الهلكة فتصبح
الناس إلى هداية ترشدهم في طلب خيرهم، وهي
عكست على عقولهم، وبين لهم حدود ما يهمهم ويعنيهم

عندهم، ويكفوا يدينهم عن وراءهم ثم ما تودع في
عرائر الإنسان الشعور بسلطة عليه مسيطرة على
لأكوان بسبب بيهم كل ما لا يعرف له سبب لأنها هي
الوحيدة كل موجود ما له دوام وخلود، وبأنه حياة وراء
هذه الحياة الخالدة فهل يستطيع أن يفصل نفسه
نهائيا بثلاث لي لحديد ما يحب عليه صاحب تلك
السلطة، المدي خلقه وسواه ووهبه هذه نعمة بعد
وغيرها مما فيه سعادته في تلك الحياة الثانية؟

كلا إنه في أشد حاجة إلى هذه الهداية بعد بعد
وقد منحه الله إياها

ولكن بقي بعد هذه الحواس، وهي المعبر عنها بقوله
تعالى: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾
(النحل: ٧٨)، فليس المراد من هذه الهداية ما سبق
ذكره، فهذه في الآية بمعنى الدلالة، وهي
عبارة عن إيقاف الإنسان على رأس الطريق. انتهت
وسحي - مع بيان ما يوحي إليه كل منها - وهي ما
تشمل به الله على جميع أفراد البشر، ما عدا نعمة الهداية

فهي أخص من دلالته. وهي لم تكن لتوجد لكل حد كالحواس والعقل وشرع الدين

ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال في فهم الدين، وفي استعمال الحواس والعقل - على ما قدمنا - كان محتاجاً إلى معونة خاصة، تأخذ به وتطمئنه في قوله «اهدنا الصراط المستقيم» فمعنى «اهدنا الصراط المستقيم» دون دلالة تصحبها معونة خاصة من الله تحفظه به من الضلال والخطأ ولما كان هذا الدعاء عبثاً لا يجدي شيئاً، لأن الله خلق له كل ما في الكون في كل شيء سواه[1]

هكذا صاغ الشيخ محمد عبده مذهب السلف الإسلامية في نظرية المعرفة، هذا المذهب الذي حكم على العقل الإنساني بالعجز عن إدراك الحقائق الدينية، وعلى الحواس بالقصور عن إدراك الحقائق الكونية، وعلى الإنسان بالعجز عن الوصول إلى المعرفة إلا بمعونة خاصة من الله.

---

[1] رسالة التوحيد ص ٥٣

[illegible]

أستاذ الإمام.

" [illegible] ولا سلطان لأحد عليه إلا الله تعالى، وعلى كل حال فقد يهتدي إلى استعمال هذه الآيات التي وهبها الله تعالى على وجهها وهي الحواس، والعقل، والدين، فهؤلاء مؤمنون كلما عرضت لهم شبهة لاح لهم سلطان مولاه لأنه على قلوبهم شعاع من نور الحق يقرد ظلمتها فتخرج منها سهولة!! ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ الأعراف ٢٠١ حولان الحواس في رياض الأكوان وتزداد فيها من بديع الصنع والإتقان عظمة نور، ويظهر بعض في

قوب المعقولات بعصبهم بور . ولم جاءه البين من
لايات البينات يتم لهم بورهم»[٣].

***

وعلى ضوء ما سبق يتضح أن الإسلام لا يعارض العقل في
حدود ما يستطيع أن يدركه، وإنما يعارض ما يسميه بعض
الناس عقلا وهو ليس كذلك، فالإسلام يدعو إلى العلم
والتفكير والتدبر والتعقل، ويحث على ذلك في كثير من
الآيات القرآنية، ولا يتعارض مع العقل الصحيح، بل
يتفق معه ويؤيده، ولكن يرفض ما يسمى بالعقل الذي
يتعارض مع الدين، ويتضح ذلك من قوله تعالى:

«الذين وعد الله بنصر نورهم، وبأن يظهره على الدين
كله، فسار في سبيل التقدم والظهور على العقائد الباطلة
أعواما، ثم انحرف به أهله عن سننه وسيروه إلى ما

٣ [illegible]

يرون ونرى ولن ينقضي العالم حتى يتم الله وعده، وأحد الدين لله تعالى، ويتفاوت معارف الناس تفاوتاً عظيماً في الوجدان، فيدرك بعض الناس قربه ويعرف حدود سلطانه، فتتصرف فيهم أنباء الله بتصرف الراشدين، ويكشف ما يكمنه فيه من سر ربوبيته، حتى إذا عشيته سحابة ضلال، وقف حائراً، وظل راجفاً، وأخذ يتلمس في العالم، بدين قد فهم سر الوجود، على بن أبي طالب كرم الله وجهه فيما يروى عنه «هم الذي عذابهم على قدر فهمهم يسيرون مصروفة دون الغيب، الأقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب محجوب، فسح الله أعمارهم بالبحث عن أسرار ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً».

هذا يسعى العقل مع الوجدان متساوقين متسقين ولم يكن الوجدان ليدير العقل في سيره داخل حدود ممكنة، متى كان الوجدان سليماً، وكان ما استقاه من أساس الدين صحيحاً. إنما أن تعتقد ما يعتقده

بعض الناس من لا فرق بين العقل والوجدان أو القلب فى الوجهة بمقتضى الفطرة والغريزة، فإذا وقع التحدث بينهم عرضا عند عروض العلل والأمراض الروحية على النفوس وقد أجمع العقلاء على أن المشاهدات بالحس الباطني (الوجدان أو القلب) من مبادئ البرهان العقلي، كوجدانك أنك موجود، ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك ولذتك وألمك، ونحو ذلك

فمنهم بعض يقطر فى العبارات والأساليب والمسالك، ويشرق فى المناهج والمركبات، ومنهم الوجدان لا يزال يتحدث فى نفس ويتألم من تردد والام، وهم وطمأنينة، وشمس متسع وإباء ورغبة، ونحو ذلك مما يذوقه الإنسان ولا يحصيه بيان، فهم عندما يتفكر تظهر لهم عن بقع على تقريب وأخرى تلتقط فى سعته وهى (النفس) فى حاجة إلى كل منهم، ولا تستغنى بواحدها حتى تتم لاستمتاع بالأخرى فتعلم بصحيح مفهوم الوجدان والوجدان أسمى من أشد أنواع العلم، وأتم الكامل علم وذوق، وعقل وقلب،

برهان و دعاب. فكر ووحدان قد اقتصرتين على حد الأمريس فقد سقطت إحدى قائمتيه، وهيهات أن تسوء على الأخرى. ولن يستحب لعقل و يوحد ن حتى يكون الإنسان موحد ن اثنين. و يوحدون الفرد وحودين

قد مرت عقلك الصغير في عمل، ولكنك تعسه طوع لوجدانك، ورد بقلبك سمعه في مر و عرضت عنه حبه نافع من سريرتك، فتقول ن هذا يدل على تحكم العقل والوجدان. ولكني أقول إن هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره. عقلك ن مرجع إلى نفسك، فتحقق من أحد الأمرين إما أن يقنعك ليس بقلبك و أنه صورة عرضت عليك من شوب غيرك، فلم تطمئن عنها وإما أن وجدانك وهم يكن قلبك، وعقده رسخت في مكان أقوى منك، وليس بالوجدان الصحيح. وإنما هو عادة ورثها عن حيوانيتك وطبيعتك شعورا منعه الغريزة وما هي منه في شيء.

لابد أن ينتهي أمر تعليم ي يحيي تعليم والدين على سنة الفطرة و بدائع حكيم ووجدانه يعلمون تعلى

الحديث الذي صح معناه يتفكرون في خلق الله ولا
يتفكرون في ذات الله" وعلة ذلك يكون الله قد أمرهم
وهو كره تفكرهم، وتفكرهم خاضعون للمقطوع ليس
لهم فيه مدخل عقلي لأنه أمر من الذي لا تدركه في نفسه
العقول وتتعلم حاهل، وبوصيح اسهج وسموه
لأعوج، وهو ما تقتضيه السنة الإلهية في التدريج «سنة
الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا»
(الأحزاب ٦٢ " إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا "
(المعارج ٦ ، ٧) «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»
(محمد: ٧) وهو خير الناصرين "[٣]

هكذا [illegible] معتدلا في فلسفته بوصفه الإسلامية
[illegible] في نظرية المعرفة الإسلامية [illegible]
[illegible]

[illegible]

٤

مقام العقل، وحدوده

ولم يقف حديث الإمام محمد عبده عن العقل عند حد
في كتابه في "نظرية المعرفة الإسلامية" عند
"الحواس الأربع" التي هي سبيل الإنسان إلى المعارف، بل تعرض
للمستوى الذي يتحرك فيه العقل، وهو "الفكر" الذي يختص
بالبحث في "الكليات" التي تشكل نهاية العقل. عندما كتبت
عن حدود العقل تعرضت لجوهر ما قاله عن العقل عندما
تحدث عن "المعقولات" وهو "مدرك وضعه الله" التي
يقف العقل بعدها ولا يستطيع أن يتجاوزها. فهو مثل الحواس
لا يستطيع أن يتجاوز "مداركه" فهو مثل الحواس
يتوقف عند "المعاني" التي لا تتصل بالمادة
وحدها، وهو يتعامل مع المعاني التي لا تكون إلا في
وكذلك القلب والوجدان من مصادر المعرفة
بالإنسان، أي الرفض للوسطية الإسلامية الجامعة

[illegible]

لأستاذ الإمام في بعد «لسعة لوهب» يقول

[illegible] قوم أتوهم [illegible] بالإصلاح، ومذهبهم حسن، لولا الغلو والإفراط»

- أي حاجة إلى قولهم بهدم قبة النبي - ﷺ -؟

- ولقولهم بكفر جميع المسلمين؟

- وتحمل على إخضاعهم بالسيف، أو إبادتهم؟

نعم. لا بأس في سعة في القول و خطابة لأجل تأثير بالترغيب و الترهيب و التنفير، ولكن ما كل ما يُسمع يُكتب ويُبنى عليه عمل»[1]

[illegible]

[illegible] منهج [illegible] في [illegible] الإسلامية [illegible] في [illegible] من [illegible] يدين بعدول الإصلاح، فقد

وهذه نقطة ضوء تطفو أفقد وتخرج صدر من السديين وهي وب تكرب كثيرا من بدع و تحب عن بدس كثير مما ضيف إليه وبس منه فيها ترى وحوب لأحد منهم من نقد نور، و بسببه بدوب بشتاب الى ما تنطوي لأصول التي قام عليها بدين، وبيعد كل بدعوة، ولاحبها صحب سوة فلم يكونو بنعم أولياء ولا لمدينه أحب.[2]

[illegible] منهج [illegible] في [illegible] الإسلامية - وهو يستقي بعلاج [illegible]

تحرير بتكر من قيد بتقيد، وفهم بدس على طريقة سلف لأنه، فلن ظهور خلاف، و برجوع في كتب

---

٢) المصدر السابق، ص [illegible]

معرفة إلى سبيلها لأولى، وأعتبر للدين من صميم
مواريث العقل البشري»[3]

فميز من سمته العقلانية، لدعوته إلى التحرير التفكير من قيد
التقليد الذي سيطرت عليه الجمود، التي جعلت العقل والعقلانية
تعيش في هامش الحياة، فأصبح الفكر من عقد من الزمان هو
الخطاء بالعقل إلى حيث تكلست طريق العلم والمدينة[1]

(...)

كذلك يشتهد الإمام محمد عبده «المعتزلي» فيقول
في ذهب إليه المعتزلة عن أن العقل يعتبر إلى حد كبير
يكون مستقلا في الحكم على الأشياء من حيث معرفتها، حتى يقدم
معرفتهم إلى تفسير المعجزات والخوارق، وكل ما لا يستقل العقل
وحده بإدراكه يسميه تفسيرا[2]

وهذا يعني أن الأساس الذي يقوم عليه الفكر الديني والوضعي
هو الذي يفرق بين طبيعة العلاقة بين العقل والوحي حيث يهيمن
في الفكر الديني العقل على الوحي في حين يهيمن الوحي على العقل

[3] ...

وأصدروا منها - لهذا الغرض - صحف ومجلات، كان في طليعتها
صحيفة «المنتقد» (ج ٢٩٣ م ٣١ هـ ٨٠٣ ١٩٥٢م) التي
وصفها مصلح كبير هو محمد عبده (ج ٣٢
١٣١٣هـ ٨٤٥ ٨٩٦ م) فقال عن أصحابها وقرائها:

«أعداء الله وأعداؤه، الأحرار الذين أنشؤوا لهم حريدة
جعلوها حرية بترجمة كلام من لم يدينوا بدينهم، ممن
يسمون معجزات الأنبياء بالظواهر الطبيعية
والتراكيب الكيميوية، ويرجعون بالمكونات في المادة
والطبيعة، فكرس وجود الإله الحق. وقد سموا هذه
الأبحاث خبث اسم فصول علمية، وما هي إلا معاول
يهدمون بها عموم الأديان».

تنقد الأستاذ الإمام هذه النعوت الملاذعي، فقال عن جريدته
التي تجسمه في المدينة الأوروبية:

«إن هذه المدينة هي مدينة البغي والتسلط والقوة،
مدينة الذهب والفضة، مدينة الفحشاء والبهرج، مدينة
الخمر والمسكر، وحكمها الأعمى هو حكم القوم»[٤]

[٤] عبد الله الندوي، مجلة الأضواء، ص ٩٢٣، ٩٢٤

و"سبنسر" عند قوم حرين، ولا سبيل للاعتراض في شيء من ذلك".

وعلى على لقائه وحواره مع الفيلسوف الإنجليزي "سبنسر" (١٨٢٠-١٩٠٣م) - الذي بدأ يأتلق في مستقبل أوربا - بسبب سموطه في النزعة المادية - على الإمام معجبا من تلاشية الأوربيين الذين هتدو إلى عبقرية اختصاره لأدلة في عترضات [illegible] حتى يحفظ بها في [illegible] حتى يأمن من [illegible] هذا الحوار مع "سبنسر" فقال:

هؤلاء التلاشة وبعضهم الذين كشفت كثيرا من [illegible] في رحلة الانسان وتوفير راحته وتعزيز سعادته، أعجزهم [illegible] يكسبهم ضعف الانسان ويعرضهم على الانسان حتى يعرفهم تعود بهم هؤلاء الذين ضعفوا العقل حتى كان بهم حاجة للإيمان بشيء [illegible] يحتاج إليه الذي على نقيض الانسان

ويصفقون تلك النفوس حتى تعود إليها نشوة
الروح؟! لقد حار تصوف سيسر[1] في حل هذه
وغيرها عجزه، مع قوله بعدم[1] قبل البدء[1] بالرجوع
إلى الدين، الدين هو الذي كشف الطبيعة الإنسانية
وعرفها إلى ربها في كل زمان، لكنهم يعودون
فيجهلونها[1].

[illegible]

الموحد في كل أمة، وفي كل زمان، أيأس تقدف بهم
الطبيعة والنفس في تعلم ما وراء البحر الذي
فسقطوا في عمرات من الشك في كل ما لم يقع تحت
حواسهم الخمس، بل قد يدركهم الريب فيما هو من
متناولها. فقد حرص عليهم شيء من الكلام في النفس
والأديان، وهم من أنفسهم هائم بالإصغاء لدعوة
أولو من الأخيار في الفطر، وتصرفوا عنه، وجعلوا

(٦) عبد الله [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

عن مقام العقل في الإسلام

«العقل هو جوهر إنسانية الإنسان، وهو فصل تتوى الإنسانية على الجملة. ولقد تحرى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس، على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل تأويلا، وحرر به المسلمين كافة، لا من لا ثقة بعقله ولا بدينه - من هذا فضايا الدين ما لا يمكن لاعتقاد به إلا عن طريق العقل كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل، وعصمة ما يوحي إليهم وبراءته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، كالتصديق بالرسالة نفسها.

كما أجمعوا على أن الدين لم يجئ بشيء قد يحيل عليه العقل، فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل.

وعلى هذا وضع علماء الإسلام هو نظر العقلي، وهو نظر عندهم هو وسيلة لإثبات صحيح العقائد، وتنقيتها من الشبه على سبيل الحجة، وقاعدة في التعليم، ومن قاعدته أنه

حكم قد ادعى إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يحور أو يثور عليه؟!

مع هذا الأصل المستمد من القرآن المتكون من أكثر من ستة آلاف آية، ينتقي جهده في الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات ولم يعثر وقت عمله على، فهو صاحب أي سعة لا يستطيع لبيب أن يخرج كثيراً من هذه السعة؟!

يعد الحق في سنة الإسلامية لا قبل لأحد أن لا يتبعه - على أنه إذا تعارض النقل والعقل أخذ بما يقضي به العقل وبقي النقل طريقاً.

فترى المسلم يتصفح الكون مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، ويتقوض الأمر ويتهافت في عينه.

ويقرأ كتاب الله ويتأمل معناه، مع محافظته على قانون اللغة، حتى يتفق معناه مع ما تشهد العقل.

وهو لا يمنع من التخرج من سطر، وقد يكون ذلك بعد الوصول إلى سطر أو أكثر من صوابه وغرضه، حتى يصل إلى الغاية التي يقصدها دون تقييد

قد يخطئ في كثير من التفكير والعقل والعلم بدون قيد ولا حد، ويقف عند حدهم بعبارة مُقرَّرة، ومنها ما كتبه أسلافنا من جواهر المعقولات، التي تركت كنهها فرشًا للأرنبة وأكنة للدوس. فيما انتقلت إلى أمم أخرى أصبحت لأن تتعلم باسم النور!

ولقد وقف الناس على العصر الذي يعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل وعرفته الماضي فيها وأطلب به حق النظر في أبحاثها، وشرط ما تطوى في ثنائها. والإسلام لا يعتمد على شيء سوى تدبير العقل وتفكير الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك تجاوز بعده ولا يعشي بصرك أطوار غير معتادة، ولا يحرس تحت بقرعة سماوية ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية.

وامرء لا يكون مؤمنًا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به، فمن رضي على التسليم بغير علم والعمل - وهو صحيح - بغير فقه، فهو غير مؤمن لأنه ليس أعظم من الإنسان يدخل الإنسان بحجر كما

... من الجهال، على القصد منه أن يرتقي عقله، ويتزكى نفسه بالعلم بالله والعروج إلى ذاته، فيعمل الخير لأنه يعلم أنه الخير لدفع المرضي له، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دنياه وآخرته، ويكون فوق هذا على بصيرة وعمل في عقائده. فبعض لا يفقد عقلا سليمة فأحدهم أن لا يعتقد جهلا هو دونه.

... يقصد بالعقيدة ... في الإسلام ... الإسلام لا ... من أسباب وتسببات، كما الأستاذ الإمام، عن السببية: «إن تقوم بسببي مرتبطة بين الأسباب والمسببات جدير بأهل الدين القصد المتعرفة ورد في كتابه الإلهي ... الإيمان وحده كاف في أن يكون المؤمن أن يقوم بتحسين تحوين عن مكانك، فتحوين تحسن! يبقى بأهل الدين تعد بضلاله وحده ... أحمق المصري فيها، كافة في قدرة على تغيير مسار تكوا كب وفق بقاء العالم الطبيعي وسنن هذا الدين هو الإسلام».

دين الإسلام هو الذي جاء في كتابه ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾ (التوبة ١٠٥) ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ (الأنفال ٦٠) ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (الأحزاب ٦٢)، وأمثالها. وليس من الممكن مسلم أن يذهب إلى ارتفاع السنن عن حوادث الكون من الترتيب في السببية والمسببية إلا إذا كفر بالسنة فقد كفر بالله وبكتابه وبعقله[٩].

كما كتبه الأستاذ الإمام:

عن السنن الكونية المحكمة لسير العالم والاجتماع البشري في الأمم والأكوان سنن لا تتبدل، وهي التي تسمى شرائع أو نواميس أو قوانين، ونظام المجتمعات البشرية وما يحدث فيها، هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل. وعلى من يطلب السعادة في المجتمع البشري أن يتعلم هذا النظام، حتى يرد إليه أعماله، ويسير عليه سيرته، وما يأخذ به نفسه، فإن عمل عن ذلك غافل فلا يتضرر إلا نفسه، وإن وقع في الفساد فإنما يتسبب عن أو اتصل بالمقربين منه، فمهما بحث المتطلع وفكر

(٩) تفسير المنار ٣ ص ٢٥٥

وكشف وقرر، وأنى ما يحكم تلك السنن، فهو يجري على طبيعة السنن، وطبيعة السنن لا تتخلف عنه، ولا تتأثر منه[١٠].

«وقد حث من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» ص عمران ١٣٧ إلى إرشاد الله إلى أن له في خلقه سننا يوجب عليهم أن يجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة، لتستديم ما فيها من الهداية والموعظة على كل وجه فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم مستوفون لهذه السنة في خلقه، كما يجب في كل عصر تعلم من العلوم وتعليمه، التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وبينها المعلمون بالتفصيل عملا بإرشاده، كعلم التوحيد والأصول والفقه.

وعلم سنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، ولا غرو يجيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دعا على وجه الخصوص الأمة إذ أمرها أن تسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة خلقه

[illegible]

وبهذا الأصل الذي قام عليه الكتاب وصحيح السنة وعليه سلف الأمة شهدت لي بداية بعقل كل مسلم وأربأت من سلفه جميع المقالات، واسع به الخلق إلى غير حد[2]

***

[illegible] الأستاذ الإمام في حديثه عن علاقة الإنسان [illegible] وتحديد الحقيقة التي يجب فيها الاستقلال في [illegible] العقلي، وذلك عندما وضع للعقل حدودا لا يتعداها هي [illegible] التي يشهد فيها حاجته إلى الوحي في معرفة ما يجب [illegible] وكذلك من تقدير الأحكام في معاملات وبينات، كتب الأستاذ الإمام فقال:

عن حدود العقل الإنساني

"إن الله سبحانه وتعالى لم يجعل للبشر في استطاعته أن يبلغ بمصالحه ما فيه سعادته في هذه الحياة، لأنهم لا قبل لهم بمعرفتهم لأمرين، فإن كان لهم من شأن المصالح ما له عرفهم ما [illegible] لهم [illegible] لا يضيع لأحد[3]

[2] [illegible] ٣ ص ٣٥٠

[3] [illegible] ٣ ص ٢٩

وقد يكون من الأعمال ما لا يدرك بالحس كالصلاة ومن المعنويات ما لا يعرف وجه صحته وهو النوع الذي لا يحسن به إلا الأمر ولا قبح إلا النهي [14]

ما مجرد سلطان العقل لا يدفع ضرراً، ولا يرد ظلماً، وقد يكون التأثم على ما وضع من شريعة بعض ما رفع من وضعها، فذهب بالناس مذهب شهوة فمذهب حرمتها، ويذهبهم بالورع، وبالتقى ما قصد بوضعها [15]

وإذا قدرنا لعقل البشري قدره، وحددنا غاية ما ينتهي إليه كماله، ما هو الموصوف بأن معرفة عوارض الكائنات التي تقع تحت إدراك الإنساني، أما الموصوف بأنه حقيقة فمما لا تتسع قوته [ومن جهة] أخرى ما لا يكمل عقل بشري إلا بفضل به وحده بهذا كان العقل محتاجاً في معنى يستفيد به أو وسائل يستعد في أمر ولا خره [16] فالعقل هو نوع يتلقى

[illegible]

في الإيمان بالله وعلمه وقدرته، والتصديق برسالة أما العقل فهو مسموع فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة، والمعاد ن [illegible] ولدى عيب اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في معتقاته لا دين تفريق في مقوماته، والعقل أشد أعوانه، وأقوى أركانه»[1]

***

هكذا تكلم الإمام محمد عبده، وكتب المقالات في مجلة «الإسلام» من موقع «مجلة الإسلام» [illegible] من موقع رفض وسفه بعضهم، مطلق العلو [illegible] «المنار» [illegible] جهل» [illegible] سيئ العمر فحجب سناه [illegible] لأجهل [illegible]

[illegible]

[illegible]

عدم السن والقوانين الاجتماعية

[illegible] كثير من مدة عدم وقف الأستاذ الإمام محمد عبده
٢٠٦ ١٣٢٣ هـ ١٩٤٩ ٩٠٥ م [illegible] وهو [illegible]
وقفات غير مسبوقة أمام الأستاذ [illegible] عن [illegible]
[illegible] في [illegible] وقفه [illegible]
وقفه خصب [illegible] وسنن [illegible] في [illegible]
[illegible] الإمام محمد عبده [illegible] [illegible]
نقول اكرم [illegible] هو [illegible]
[illegible] التي [illegible] في [illegible]
[illegible] والاجتماع [illegible]

وهي ب حركمه هذه نسس - سي لا تتدين بها ولا تخوين - لا تعني حرية سي تجرد الإنسان من حريته وحيويته، وتسخره لقوانين هذه النفس، وإنما تعني أن وعي الإنسان بقوانين هذه نفس وقوة عند حركتها، هو الذي يجعل الإنسان قادرا على تسخيرها في أحسن الذي يريد، فتصبح كل ما في هذا الكون - بما في ذلك نفس والقوانين التي تسيرها - مسخرة للإنسان، الذي استخلفه الله لخلال مدة عمره هذه الأرض، وفق شرائع والقوانين التي وضعها له وكشف النفس، ولوعي بقوانين حركتها هو الذي يحقق سيطرة الإنسان عليها، ويجعله قادرا على معرفتها وتسخيرها في أداء الأمانة التي استخلفه الله للقيام بها، بينما تعجزه، عنه هذا الإنسان عن هذه النفس، وعيه وعجزه عن قوانين حركتها. هي التي تجعله ضحية لهذه القوانين التي لا تتدين بها ولا تخوين، حتى ولو حسبت بوجود هذا الإنسان وعاش عمره في بحر الأمنيات والأحلام والادعاء والتوسلات وصدق به يعتصم ﴿نفس بأنفسكم ولا تأسى أهل تكتب من

يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا
نصيرا ٥ ، النساء ١٢٣)

***

وغير النفير بالزيادة في الوعي بالأصول التي تقوم عليها علم
علم النفس الإلهيه، والاجتماع الديني على أساس الإسلام
بالإضافة إلى [illegible] الإلهية [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible]

حرم حوزتها من سبقه وبم يقع عليهم، فكان لابد على أن
يعبر، لا يقصر الأسباب بين أسباب العرب ولسان

[illegible]

[illegible] الأستاذ الإمام - وهو يفسر قول الله سبحانه وتعالى ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران ١٣٧)

[illegible] أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة [illegible] وموعظة على كمال وجهه، فيجب على الأمة في مجموعها [illegible] فيها قوم يسيرون بهذه السنن في حياتهم كما يعملون [illegible] من العلوم والصنائع التي [illegible] لاختلال [illegible] عملا [illegible] كتوجيه وأصوب [illegible]

[illegible]

و يعلم نفس الله تعالى من أهم العلوم و ينفعها، و يقرب
يجعل عبده في مواضع كثيره، وقد دلت على ذلك من
أحوال الأمم، وقد أمرنا أن نسير في الأرض لأخذ اعتبارنا
ومعرفة حقيقتها»

ولا يخفى على [illegible] بتصحيح [illegible]
يدوبوا عن هذا العلم من معلومات شرعيه تتوقف عليها أصول
[illegible] وتأثرت منها الفروع و[illegible] وإنني لا أشك في كون
بتصحيح كثير من [illegible] وعدلت كثير من [illegible]
من وراء ذكرها

بعض الفقهاء من معرفة أحوال الناس وعاداتهم و[illegible]
[illegible] على التجارب و الأخبار في الحرب [illegible]
[illegible] وقد [illegible] [illegible]
[illegible] وأحوالهم [illegible]
[illegible] وقد كثر عدم العلم بالتجربة و بعض
[illegible] من العلم النظري بحت، وكذلك كانت علومهم كلها

وقد حدثت حادثة بحضرة الخليفة حتى تحدث معه [illegible]
[illegible] العلم لأحكام [illegible] وقد [illegible]

[illegible] لاجتماع، أو عدم تسميته عدم تسمى الإنهية أو عدم
لاجتماع، أو عدم تسميته الدينية سمّ ما شئت، فلا
حرج في التسمية.

[illegible]

[illegible]

[illegible] بعضهم بعضاً ويتعاونون على [illegible] ويتنافسون [illegible] ويتعاونون [illegible] ويتنافسون [illegible] ويتعاونون [illegible] ويتنافسون [illegible] ويتعاونون

... حسناتهم على باطلهم، وخدشتم بتشريكم على حقكم!

ومن هذه السنن أن جميع الناس ولو ضمهم وتعاونهم على أمر مصلحة من مصالحهم، يكون ... مع تباين ... من أسباب كاختهم وتراضيهم في مقصدهم سواء كان ما اجتمعوا عليه حقاً أو باطلاً، وإذا تضمنوا في مقصدهم شيء من الحق والخير، ويكون ما عندهم من الباطل قد ثبت باستناده إلى ما معهم من الحق، وهو

قصدة الاجتماع والتعاون وشرط

... يكون ... جميعهم ... يحول معه بعده ... ويكون العالب ... لا يستمر ... طويلاً، لأنه ليس ... سواه ... يحول ... يحول ... على ...

[illegible] في شباب حقهم سالمة من [illegible] و يحرف عن [illegible] في تأييده، فإن لعاقبة تنتظرهم بسوء المصير

[illegible] في مسائل حرب و [illegible] عن [illegible] يعرف نفسه وكنه [illegible] يكون على بصيرة من [illegible] على [illegible] في صفه وفي حقيقة [illegible] يعرف كيف [illegible] نفسه ويضع غيره مكانه وعليه، ولا كنه غير مهتدين ولا [illegible]

٥٠ لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴿ عمران ١٣٩ . أنتم أيها المؤمنون بالله، المصرون في سبيل الله من قبلكم تحملوا ما حملتموه ثم على حين أحكموا أمرهم، وحدوا أنفسهم، وأعدوا لكل [illegible] وأعدوا أنفسهم في كثير من المصاعب، وصبروا صبروا وأنتم كذلك حتى وعدوا بوعدكم على حين [illegible] وعدوا به، وعدوا به [illegible] على الله عز وجل

وحتى يمكن على قدم لا عوض منه وأن لكم حين عوض [illegible] وأنتم الأعلون بما حبتكم عليهم في مجموع الموقعتين - بدر وأحد - بإذن الله فهو منهم أكثر من [illegible] منكم، على كثرتهم وقلتكم

﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ عمران ١٤٠

هذه قاعدة كقاعدة ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ [illegible] سنة من تلك السنن، وهي ظاهرة بين الناس، تصرف [illegible] تحقيق و[illegible]

والدولة في نوع يكون مسنة على أعمال الناس، فلا تكون الدولة بطريق دون آخر حتى تكون من عرف سبيلها ورعاها حق رعايتها. أي إذ علمتم أن ذلك سنة فعليكم أن لا تجمدوا ولا تصعقوا بما أصابكم، لأنكم تعلمون أن للدولة [illegible] إلى شيء معلوم كان معلوم لهم [illegible]

ما كتب الدولة منوطة بالأعمال التي تقتضي بقاءها، فعليكم أن تقوموا بهذه الأعمال وتحكموها ثم تحكم وإن تعلموا ثم تصدقه بعمل لا يعتد به وإن تسلموا حتى يسهو ويلعب، ولا تكسل وتتوكل، ولا تيأس لتصر والسيادة بحوزتك بعد ذلك، وتبدل سنن الله في المخلوقات، بل خذ لتكون أكثر الناس حذراً في العمل وأشدهم محافظة على النواميس والسنن[٢]

[illegible]

السنن الكونية، والاجتماعية

«لقد كشف الإسلام عن الغطاء عن عدة من قوانين، فنحن يتعرض من حوادث الكون كثير. العالم، والكون يتصور الإنسان «فقرر أن الله يكرر في صنع العالم، ما يجري أمره على السنن الإلهية التي قدرها الله في عالمه الأرضي، لا تعرف شيء من تصوراتنا خرافية غير أنه لا يجوز أن نعقل شأن الله فيها، بل نسعى أن نحيي ذكره عند رؤيتها، فقد جاء على لسان النبي ... أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ... وقد تصرح بأن جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقتضي فيه إلا بعادته لأنه على السنن التي أقامه عليها

ثم أخذ يتكلم عن حال الإنسان في نعم التي يتمتع بها لأشخاص في الأرض، مصائب التي يتعرض لها، فقصل بين الأمرين فصلاً لا مجال معه لتعلق شبهة أن نعم التي يتمتع بها بعض الأشخاص في هذه الحياة الدنيا هي من أجل أنهم في نفسه فكثير منهم كالكافرون والجاحدون بنعمة الله، وأن تعرضهم للمصائب وضعف

و عقـــــد قد لا تخير [illegible] حاسبها عليه [illegible]
في [illegible] [illegible] و [illegible]

وكثيرا ما يهمل بعض لضعفه بعده، و لفجرة بفسقه وتربهم ضع خيه الدين، وكثيرا ما يمحق الله بقاصحين من عنده، وأتى عنهم في لاستسلام لحكمه، وهم يدين دا صابتهم مصيبة عرو عن إخلاصهم في تسليم بقوبهم إليه وب إليه رجعون كما [illegible] سقره ١٥٦ - فلا عصبت ربه ولا رضا عمرو، ولا خلاص سريره ولا فساد عمل، ما يكون له دخل في هذه الراء، ولا تلك نعم الخاصة. نعم لا فيما ترتبط بنعم ربط اسست تأسست على جري العادة، كربط تعمير لإسراف، و بدد بخس، وضياع السلطان بظلم، وكرباط الثروة بحبس لها عن لأعين، وإمكانه عند لناس بالسعي في مقاصدهم على لأكثر، وما شابه ذلك مما هو من في عموم حر

أما شأن لأمم فيس على ذلك، فإن الروح لذي أودعه له جميع شرائعه لإلهية، من تصحيح الفكر، وتسديد النظر، وتأديب الأهواء، وتحديد مطامع الشهوات،

و يدخلون في كل مرض الله وصف كل رعيه من
نفسه، وخلط الأمة و ستشعر لأخوه و لعدوه
على أمره و يسعى في الخير والشر، وغير ذلك من
أنواع التصاوير، ذلك الروح هو مصدر حياة الأمة
ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة

من يرد ثواب الدنيا نؤته منها آل عمران ١٤٥ ،
ومن يسعى الله عليه بعضه و يدام هذا الروح فيه *ولا
أريد أن يهلك قريه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميرا* الإسراء ١٦ ، فمن هم بالحق
فيستقر عليه إلى يوم القيامة *إن الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم* الرعد ١١ *سنة الله في الذين
خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا* الأحزاب
٦٢ ، وقد حمل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في
سبيلها *فإنهم لم يروا بلاء لا يدنى ولم يرفع
لا سوءه*

على هذه السنن جرى سلف الأمة فسعد كل منهم
وحده بعد [illegible] أخذ نفسه كما يسعها في الأعمال
الحسنة، [illegible]

[illegible]

[illegible] ٣

سنن الله في المجتمع وتقلبات الأفراد والأمم

[illegible]

[illegible] ٢

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لأمة العزة والشرف والقوة والسيطرة من حيث لا تحتسب ولا تقدر ولا تعلم ولا تدبر، بل يعطيها بعلمها ويسلبها برلها،

سنن التدافع بين الحق والباطل

وهذه السنة ثابتة، لا تتخلف أمام الحق، فإن أي حكم باطل مؤقتة لا ثبات لها في ذاتها، وإن استؤثر في يوم فإن الحق يعلو وحكم الحق هو الثابت له، فلا يغلب أنصاره ما داموا معتصمين به، مجتمعين عليه[1]

"ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما" [2]

فلا تعلق لهم بأن يكونوا منتصرين حفظ ونصر وسيادة لأنهم مسلمون، وإن يكونهم حري على سنة تعلي كعبهم، فلا تلهيهم من الاستعداد بسنة قعة لا تائمة ودنيا تقتضي بذل المال والنفس، وإن الرسول - ﷺ - لا ينفع أمة قد خالفت السنن والصنائع

فلا تغتروا بوجودكم معه، مع مخالفة لله ورسوله، فهو لا يحميكم إن تقتضيه سنن الله فيكم [3]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

سنن الله في إحياء الأمم وإماتتها

[illegible] (البقرة ٢٤٣، ٢٤٤) [illegible]

فمعنى موت وشك القوم هو أن العدو يكثر فيهم قتلى فوتهم، وأن سيلان دمهم حتى صارت لا تعد أمة، بل تعرق شبابها، وذهب خيارهم، فكل من بقي من أفرادها خاضع للمستبد، ضائع فيهم، مدفعه في عمارهم، لا وجود لهم في أنفسهم، وإن وجودهم نافع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم

وذلك أن الله رحمة الله تعالى في سلاه بسبب تناسل الأمة بالتأديب بهم، وتصويرا لنفوسهم ما عرض لها من دنس الأخلاق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

على استقلالها، وجعل الاعتداء عليها بقوى بكامله
في تعدي عليه، وتحالف على سعادته جميع الأمم
وشب لأجله، حتى حتم الأمم حتفه بأيديها، ويظهر قصد
الله تعالى فيها

و مراد بالقصص هنا القصص العام، وهو أنه تعالى - جعل أمة
من الأمم تستقل على أساس [illegible]
[illegible] استبداد عليها، و لضرورة قاضية ببقاء، فلا خروج لتلك
الأمة إلى هذا البقاء، فتكون حياة جديدة للأمة تفسد الأخلاق
بالأمم فسيء الأعمال، فيسلط الله على فسدي الأخلاق سكنت
بيأس الباقي منهم، فتحهدو في إزالة الفساد و[illegible] الصلاح،
وتكون عاقبة [illegible] بعضهم بعضا فتصير الأمة عرضة
لسيطرة بعض جنسها وهي لا تشعر، فتلك سنة الله
في [illegible] في الأمم محكمة منها [illegible]
[illegible] ٢١٠

[illegible] في [illegible] وقد [illegible] في
عقله عليه، فيقف [illegible] ويكن أكثر [illegible] لا
يتوهمون بتحدوا [illegible] ولا يستقلون في [illegible]

[illegible]

مؤسسات الاجتماع الشرعي الإيلاء للكفرين

[illegible]

[illegible]

السنن الكونية، والسنن الخارقة

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين﴾ (آل عمران ٣٨، ٣٩)

يرى زكريا أن ما رأى من نعمة الله على مريم في كفالتها وحسن تربيتها، لا يمنع أن يسأل ربه أن يرزقه ذرية طيبة، والله هو الذي يرزق من يشاء بغير حساب، فقد يرزق من لا يسعى، ويحرم من يسعى، ويتصرف في خلقه وفق سننه في الحياة، فقد يستجيب الله دعاء الداعي، وقد لا يستجيب، وإنما يكون الدعاء خيرا إذا استجيب، حين يهدأ النفس ويستقيم القلب في حين استغراقه في الشعور بحكمة الرب، وبعد عن سفاسف الأمور وحقيرها، حين يعرف [illegible] لا يستجيب وهي على علم بأنه يكون، فتحمد ربها وتقول قوله عز وجل: ﴿فنادته الملائكة﴾

[illegible] فعل سحر كان هو المعجز لا يوحي، وقد الله في [illegible]
[illegible]

إن الخوارق حشوه عقلاء أي شيء ليس فيها اختلاف سفيفس ولا ارتداعهم، لا ينبع عن وقوعها قدرة الله تعالى على شيء من الأشياء ويجب أن يؤمن بها على ظاهرها

ولا تعتقد هذه الإنكار من الأشياء ليس لله تعالى في الخلق، وعقيدة أنها لا تشذ ولا تحول، كما قال الله تعالى في كتابه الذي خصه به يوحي على لسان نبيه الذي خصه لنبيين، فنهى نبيه عن المعجزات، ودخل الإسلام بين الإسلام في سن الرشد، فلم تعد هذه الخوارق هي حجته التي لا تعلو، وتقوم ما تعرض لتقطره من ميل عن الاعتدال في التفكير والأخلاق والأعمال كما كان في سن الطفولة الموعدة، بل أرشده تعالى بوحي الأخير الذي [illegible] إلى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبوحي

ثم جعل له كل إرشادات الوحي فيه معنى قدسية
حسي في مقام الأدب كما أوضحت ذلك في رسالة
التوحيد)

فإن الله سبحانه وتعالى به الأسماء عن الأدب، حتى
قلوب قومهم لدنس لم تترك عقولهم في الرجس.
لأنه في كون ذلك هو دين العقل والفطرة، وكونه حكم
عليه الأدب في تنزيهه سبحانه وتعالى في
الحق لا تبديل لها ولا تحويل

ورغم تدين لا يحمل متحدث من مفهومين

[illegible] ﴿ [illegible]
[illegible] ﴿ ويكفر [illegible] على كونه [illegible] (موسى
وصف كل فرق بأنه كالطود العظيم وإذا تيسر تأويل
كل آيات القصة من الشعراء فإنه يتعسر تأويل قوله
تعالى في سورة الشعراء ﴿فانفلق فكان كل فرق كالطود
العظيم﴾ (الشعراء:٦٣)، وهو الموافق لما في التوراة [٩]

﴿[illegible] بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز
به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ (النساء ١٢٣)

وقد [illegible] سنة الله التي لا تبديل لها، لا تجد
[illegible] ﴿[illegible] على [illegible]
[illegible] على [illegible] وبقاء [illegible]
[illegible] ﴿وما أصابكم [illegible] كسبت أيديكم﴾
(الشورى ٣٠)، [٩]

[illegible] بأن [illegible] بين الأسباب والمسببات كبير
بأهل دين ورد في كتابه لأجل أن لا يتكل وحده كما

[illegible]
[illegible]

في أن يكون سعيه من أن تكون للحسن عون عن مكانك.
فسحول الحسن ا، يبقى دأهل دين بعد الصلاة وحدها -
إذا حتص المصلي فيها - كاذبة في عداره على تعسر سير
بكواكب وقت بعده العالم العنصري وليس هذا
الدين هو الإسلام دين الإسلام هو الذي جاء في كتابه
﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾ التوبة ١٠
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
والأسل ٦٠ ، ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن
تجد لسنة الله تبديلا﴾ الاحزاب ٦٢ ، وأمثاله

وليس من الممكن للمسلم أن يذهب إلى ربقع من بين
حادث المكون من النوس في نفسه وحسنة إلا إذا
كثر تدبره قبل أن يكثر تعقله

هكذا كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله
نفس لأنهه عليم الاجتماع الإسلامي، ه نفسه
فكان وان دعوة في نفسه هذا تعليمه ما يرى من نقص
اجتهاده والإله عن، بني على ضوء الأستاذ الإمام

٦

عن الدين والدولة

عندما صدر كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ علي عبد الرازق في ٥ من ١٣٤٦هـ الموافق ١٨٩٧م و٩٦٦م من ١٩٢٥م وهو لأول مرة في تاريخ الإسلام، والفكر الإسلامي كله الإسلام «دين الله ورسله لا حكم»، وجاء فيه تحت هذا العنوان

رأي الإسلام ـ نصه

«ما كان الرسول بدعوة دينية خالصة يقصد لا يشوبها نزعة ملك ولا حكومة، ولم يتم له تأسيس مُلكه، بالمعنى الذي نفهم من هذه الكلمة ومرادفاتها. ما كان الرسول كحكومة الخلق من مرسل. وما كان ملك ولا مؤسس دولة ولا داعي ملك وظواهر القرآن تحدثنا بغير ذلك. نبي لم يكن له شأن في الملك السياسي، ودعوته مقصورة على أن عصمة مسموق لم يتجاوز حد بلاغ المجرد من كل معاني السلطان، لم يكن الرسول قد حبب من قبله

الرسل، ولم يكن عن عمله شيء غير بلاغ رسالته
تعالى إلى الناس، وليس عليه أن يحدد الناس ثمرات
عمله، ولا أن يحصيهم عليه. كذلك ولاية محمد على
الوحي ولاية رسالة، غير مسبوقة بشيء من حكم
فيهات فيهات، لم يكن ثمة حكومة، ولا دولة، ولا
شيء من مرغبات سياسة ولا غرض من شؤون
ولا أمراء

عندما عاد هذا الكتاب، وقد مضى على صدوره عدة
سنوات، كان الشيخ محمد عبده قد أصبح الإمام، وجعله
كتابه هذا يتبوأ مكانه عصره وموقعه في تاريخ
بالمفهوم الكيفي - وقع زلزال فكري كبير وخطير في عالم
الإسلامي على يد الإمام في مطلع القرن العشرين
ودار معركة فكرية لعلها من أكبر وأخطر المعارك الفكرية التي
شهدها العالم الإسلامي في العصر الحديث

وبوشد - وصمم هذه المعركة الفكرية - حرب مجنونة من
الشيخ محمد عبده - دفاعاً عن هذا الكتاب - عندما قام الأمير
الإمام الشيخ محمد عبده - في علاقة الدين بالدولة - بكل ما
يملك

يعني عدم [illegible] الإسلام وأصول الحكم [illegible] صحف هذه [illegible] السياسة يقصد [illegible] فصل السلطة السياسة بكهنوته كما عرفها الكنيسة أو [illegible] عصورها الوسطى [illegible] وبين موقفه من علاقة [illegible] الإسلامي [illegible] وكل دوله الإسلام هي مدنية وإسلامية في [illegible] وهي مصدر سلطاتها [illegible] وسلامة لأن الإسلام وسع [illegible] وقفه مع علاقة الحاكم [illegible] رجعية [illegible] الحكم [illegible] والسياسي المنير، فهي دوله مدنيه، قامت وتقوم بتطبيق شريعه وفقه حدود الله

[illegible] عبد [illegible] الإسلام محمد [illegible] في [illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible] يكتب [illegible] يحاول [illegible] الإسلام

وفي هذه المحاولة ركزت صحيفة (السياسة) على [illegible] صوص لأستاذ الإمام في تأكيد على [illegible] «فالحاكم فيها مدني من جميع الوجوه»، وعلى رفض الإسلام بسيطه بدعة «فليس في الإسلام ما يسمى عند قوم

[illegible]

[illegible] سياسية بوجه من الوجوه . وعلى ترك شريعة الإسلام تفاصيل نظم ومؤسسات وقوانين في الدولة للشورى والاجتهاد، وعلى رفض الإسلام بمحروس سياسة التي تكرّه الناس على الاعتقاد الديني إلخ[٢]

***

[illegible] محمد [illegible] على [illegible] الإسلام، قد [illegible] بالفشل الذريع، [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] وشديد الوضوح

[illegible] الإسلام [illegible] لا يعني بكل وجوه الإسلام [illegible] عن [illegible] محمد [illegible] الإسلام" [illegible] لأوربة [illegible] [illegible] على [illegible]

٢ صحيفة السياسة [illegible]

...

لأمة في شئون دينها ودنياها

والإمام محمد عبده يحدد أن خلافة الإسلام يجب أن تكون سنية قدرتها سلطة حقة وهذا يعني أن الإمام في حدود الإسلام محدد حكومته بحدود الشرع وهذا هو الذي رفضه علي عبد الرازق عندما تحدث عن أي حكومة من الحكومات حتى ولو كانت إسلامية

وحديث الأستاذ الإمام عن تسامح الخلافة الإسلامية حين تسامح مع النصارى واليهود والفلاسفة فقربهم منه هي قدمهم علي عبد الرازق شهادة الخلافة ولهؤلاء الخلفاء في هذا ... فلم يدعوا في العلوم سياسية أي إبداع!

ثم يناقش الشيخ محمد رشيد رضا رأي الإمام الأستاذ ... في علاقة الإسلام بالدولة ويقف عند ... ويوضح

[illegible]

لعالم! بل به هو لدين [illegible] حتى سن
[illegible]

فيقول في تفسير آية البقرة ٢٢٠

«إن العقل قد دل على الآخرة» «في تعليم
الآخرة» لأنها متقدمة في الوجود للعقل، وكل
الأشياء التي يحتاج إليها الناس في معاشهم هي من
فروض الدنيا»[٣]

وقد كانت [illegible] السياسة والاجتماعية،
وهو الأمر الذي أدى بالفكرة والعقيدة، لأن يكون منها من «الدولة»
و«السلطة»، تقسمها وتصنفها وتطورها، في الإسلام - وهو الذي جاء
«بعد» مع «الدين»، وأتى مثل ومثل منهاجاً شاملاً للبناء
و[illegible] لإصلاح [illegible] الاجتماعي» و[illegible] الإمام

---

٣ [illegible]

محمد عبده كما يتصور وعد في سبيل ذلك، وقدم حياته، هو الإسلام نفسه كمنهج شامل للإصلاح، والنموذج المتكامل لتحرير المجتمع وتقدمه. لا يمكن بأي حال تغييبه، وتغريبه، وتحريم منهجه

بل «الحل السحري» الذي لا بد منه هو «العودة بالإسلام نفسه وبقوته وكذلك الحل الشمولي» أو «العمومي»... إلخ

وقد كان الإمام محمد عبده شديد الحسم والوضوح في أن الإسلام هو الأساس الإصلاحي، وهو الحل الشامل لكل مشكلات المجتمع في كل مجتمعات وفي كل أحواله، في كل عصوره وبعد ذلك هي مشكلات الحضارة الحديثة، فالإسلام بمبادئه وقيمه الإمام محمد عبده قادر على الحل الإسلامي لكل هذه المشكلات لصالح تقدم مجتمعات الإسلام، فكتب يقول

أهل مصر قوم أذكياء، يغلب عليهم سرعة الطبع وشدة الحساسية بالتأثر لكنهم يحفظون القاعدة بطبيعته وهي أن الشجرة لا تنبت في الأرض إلا ما كان صالحاً لنموها مما يستمدّ من عناصر الأرض، وتستغل بهوائها، وإلا ماتت الشجرة، بدون نظر على طبعه

لأرض وخيراتها، ولا على سيره وصحتها. وإنه
انعب على المصريين أن يتعلموا شريعة لا تتفق
لدين، حتى تدرك فيها فكل من طلب صلاحها
من غير طريق الدين فقد سار سيراً غير صالح لسرية التي
اودعه فيها، فلا ثبت، ويضيع تعبه، وتجعله تعبه
وأكبر شاهد على ذلك ما نشاهده من ثمرات التي
يموننا به، من عهد محمد علي (١١٨٤-١٢٦٥هـ
١٧٦٠-١٨٤٩م) إلى اليوم، فإن المأخوذين بمدالم
الدين لا فساد، وإن قيل بأنهم شذوا عن المعلومات
القديمة لم يكن معارفهم وآدابهم مبنية على صون دينهم
فلا ثقة بها في نفوسهم

ن يتعلم الدين يريد الإصلاح في المجتمع يجب أن لا
يتجاوزه فيها، فإن تجاوزهم من طرق الآداب والحكمة
فإنه يخرج عن جماعة المسلمين، ويخرجه إلى الفساد، فإنه
ليس عنده من نور ما يضيء، ولا يستطيع عنده أن يجد من
عماله أحداً.

وإن كان الدين كفيلاً بتهذيب الأخلاق، وإصلاح
الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من

توفيق، ولأهله من لشه فيه ما ليس بهم في غيره، وهو
حاضر بينهم، وبقاء في بقاعهم بيته بحيث من
حيث لا يدرون عنه أبعد من غيره [٢٠]

[illegible] وصفه بالمستور و"الشيوعي" [illegible] بالإسلام" بتعبير
[illegible] لا يستند إلى [illegible] ولا [illegible] يحد
على الإسلام وجود "الشريعة" دون "دولة" تصنعها في ممارسة
وتطبيق، بدعت، كانت "الدولة الإسلامية" ضرورة لازمة بحسب
[illegible] الإسلامي في منهوض، ومنهج الإسلامي في إصلاح؟
هذا [illegible] لإمام محمد عبده:

إن الإسلام دين وشرع فهو قد وضع حدود ورسم
حقوق، ولا يكمل أحكمة من تشريع لأحكام لا
وجدت فوه لأقامه الحدود وتنفيذ حكم القاضي بالحق
وتنزيل نظام الجماعة وبث القوة لا يجوز أن تكون
فوضى في عدد كثير، فلا بد أن تكون في واحد وهو
السلطان أو الخليفة، والإسلام يهدف إلى تيسير التعسير
من كان من شأنه أن يحتسب فيتعسر على من يليه أو يحد

[illegible]

على يده في عصره، فكان الإسلام كما لا يتشخص، وأمته في ليل، وتقدم لتمسك، صورت به الأمم التي دخلت فيه عن سواها ممن لم تدخل فيه [5]

وبعد هذا الحسم والوضوح - من قبل الأستاذ الإمام - لجمع الإسلام في [illegible] منهج متكامل يتحدد الإسلام بشخصه، وأخذه في [illegible] بنظام متسق، وسياج يقيه خشونة وسطحية تسم [illegible] هذا الحسم والوضوح جهاد مضاف في علاقة الإسلام [illegible] دفع الإمام محمد عبده عن دولة الإسلام [illegible] سلطة [illegible] حرية الكهنوتية التي سلطت فيها [illegible] بكسبة [illegible] عصور، وسعى، فسر في الإسلام كهنة أصلاً، ولا سلطة [illegible] فصلاً عن سلطة [illegible] - فقد بين الإمام وخالقه، وعبده الإسلام - من قبل ومن بعد - أن الإسلام ليس كهنة ولا صحاب سلطت على عقائد [illegible] وعلى سلطاتهم - كسلطت الدولة - مدنية تحدد القانون الإسلامي

فالدولة في الإسلام - مدنية، يقيمها الأمة، بتطور مؤسساتها [illegible] والإدارية [illegible] كما هي [illegible]

٥ محمد البهي ... ج ٣ ص ٢٨٧ ٢٢٥ ٢٢٦

مصطلح في القاموس السياسي، وهو مأخوذ من معناه في علم اللاهوت والكهنوت عند «الدولة» مع بقاء مرجعيتها الإسلامية، شرعيةً، لأن الإسلام بعبارة محمد عبده دين وشرع، وضع حدوده وأسسه وحقوق وواجبات في سياسته بمرجعية الإسلامية بالشرع والحدود والحقوق. فهي دولة مدنية وإسلامية في آن معاً، وليست كهنوتية ولا عسكرية، بهذا المعنى عن الدولة، دون «الفصل» أو «الحد»

وفي رفض الإسلام السياسة الدينية، الكهنوتية، ورفعه دولته المدنية بمقولة الإمام محمد عبده «إن الإسلام لم يعرف في سياسته الدنيا إلا عرفيها وما قصر في الإسلام سياسة الدنيا دون سياسة الوسطة الحسنة، وما عدوه من خير وشر على حسب وفق سياسة حكامهم لكل مستمسك بأهوائهم وأغلاطهم، وإنما هي التي تولي الحاكم، وهي صاحبة الحق في السيطرة عليه، وهي تخلعه متى رأت ذلك في مصلحتها، فهو حاكم مدني في جميع أحواله ولا يخرج تصرفه عن حفظ حقوق الأمة، وإقامة العدل بين الرعايا» التي سنتناولها في فصل مخصص لها، لا يناقضها أو ينفي أو يمنع الإسلام دين سياسة في الحكم وتحرير الأحكام وكل سياسة تتعارض وحدوده، هؤلاء فهي سياسة مدنية،

في [illegible] الإسلامي، فليس في الإسلام سلطة دينية توجه من [illegible] ولا سلطة مدنية، والإيمان عليها من الأساس، [illegible] من أصول الإسلام.

وعندما [illegible] الإمام محمد عبده جريدة "المنار" سنة ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م [illegible] في تصوره وتحليلها صور الملوك والأمراء وبكر ذلك، التي تعكس "سلبيات كل منهم في عصره" الدولة [illegible] "الأوتية" عن التعرج على تغيير [illegible] بكيفية تكرارية في تلك الدولة، ومن سلطان عبده الإسلام في التاريخ الإسلامي والدولة الإسلامية، فكتب يقول:

"رأيت بيت من بيوت الفقر" في "المنار" عاصمة [illegible] فيه صور بيوت ملك في عهد "نوريون"، بعد عهد "نورسدس"، ومع كل ملك منهم كورسان"، كان كل منهم "كرادله" يصحبونهم ويشركونهم في كثير من شؤون الملك، وكل ملك كان ينوب عن ملك يصحبه كرسان يرجع به في أمور دولته. وفي عهده [illegible] أنهم كانت لأحكام مدنية وأسبوعية محدد حق فيه

[illegible] ٢ ص ٢٣٣ ٢٨٨ ٢٩٦ [illegible] ٢

رجال الدين، كما يقول عبد الله النفيسي، و«شيخ الإسلام» في عهد العثمانيين لا تسمح لهم وظائفهم بتعلم العلوم الدينية، فيحتاجون إلى من يرجعون له من علماء الدين.

غير أن النفيسي و«شيخ الإسلام» لا يحتكمان عندما يفتي أو يوصي ما كتبه ابن تيمية أو الكرديس، فكل منهما اجتهد، وتصرف بمقتضى، وبما تراءى له حينئذ، وبكيفية تعامل مع المعطى الذي لا مرجعية له، وبحسبه على سلطة قد تتوحد، فكل سلطة الحقيقية مدنية سياسية دينية في نظام واحد، لا فصل فيه بين السلطتين، وهذا تصرف من سلطة هو الذي يجعل المدونات وعملهم من رجال «تكتلكه» على رجعة لأنه فصل من أصول مدنية مستحدثة عندهم وبتكتيكر وحدة سلطة مدنية دينية مدنية من لا مدنين بدينهم.[٧]

٥ سلطة حسنية في مدونة [illegible] من [illegible]

[illegible] ٧

[illegible] الأمة في الإسلام هي الكلمة المتصلة [illegible] مستحقة عن "الأمة" بحرف "أمة" وقيدها وحبسها، وتعرف عند الفقهاء "سلطة الأمة" وهي سلطة [illegible] بحكومة جميعها بحدود الشريعة والمرجعية الإسلامية.

وكما يقول الإمام محمد عبده

> "إن المسلمين، تجب عليهم المحافظة على شريعة وصونها من العبث، وإن جمهور الأعظم يعتقدون أن أحكام الشريعة الإسلامية وفيه سعة جاءت ظلال تعدل في كل زمان ومكان مع اليسر ورفع الحرج الذي يكسر سد مرفعه عن هذه الأمة بما يقتضي الدين"[٨]

هكذا جعلت الوسطية الإسلامية في فكر الأستاذ الإمام [illegible] وبين الدين والآخرين، فالسلطة الأمة هي جعلت الشريعة الإسلامية، في كل المجتمعات [illegible] جميع المجالات

[illegible] ٢٥

[illegible] في عرفها الخاص لا أخرى؟ علاقة [illegible]
[illegible] بالإسلام [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible]
التي جعلت الدولة دينية، وحكمت بالحق الإلهي والتفويض
[illegible] لا علاقة [illegible] الدولة [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
عندما غربت الشمس عن الأرض

٧

الأسرة والمرأة

«إن الأمة تتكون من البيوت «العائلات»، فصلاحها صلاحها، ومن لم يكن له بيت لا يكون له أمة سماء فقد ضرب بينهن وبين نعيم ستار لا تذرى متى يرفع، فأصبح يحشو أدمغتهن خرافات، وملأ حديثهن ترهات، فلم إلا قليلا منهن لا يستغرق الدقيقة عدهن»!

يحمد عبده

في عبارة عبده هذه لا تكاد تفكر في جنسها حتى لا... إلى ما حولها من الأسرة، ثم يعود على صلاحها وإفسادها على أساس سليم هو تصور المجتمع كوحدة واحدة على نحو ما يفعل الجمهوريون في الإصلاح. لأن الأسرة هي نفسها لا في هذا ليس لكبير

فهو يتحدث عن أن لأمة تتألف من بيوت العائلات، فصلاحها صلاحها، ومن لم يكن له بيت لا

يكون له أمة. ودلت أن عاطفة البر حتم وداعية تعاون إنما تكونان على أشدهما وأكملهما في العصبة بين الوالدين والأولاد، ثم بين سائر الأقربين، فمن فسدت فطرته لا خير فيه ولأهله، فأي خير يرجى منه لبعداء والأبعدين؟! ومن لا خير فيه للناس لا يصح أن يكون جزءا من نسمة أمة، لأنه لم تنفع فيه النخعة النسبية، التي هي أقوى لحمة طبيعية تصل بين الناس. فأي لحمة بعدها تصله بغير الأهل. فتخعته جزءا منهم. يسره ما يسرهم، ويؤلمه ما يؤلمهم، ويرى منفعتهم عين منفعته ومضرتهم عين مضرته، وهو ما يجب على كل شخص لأمته

وهو يرى أن هذا التلاحم الأسري هو الذي يجعله يختص في مجتمع و لمتزء من أهله

فصلاح البيت الصغير يحدث له قوة، فإذا عاون هذه البيوت الأخرى التي تنتسب إلى هذا البيت بالقرابة، وعاونته هي أيضا، تكون لكل البيوت المتعاونة قوة

هـ ... ج ٤ ص ٣٢٥، ٣٢٦

كبرى يمكنها بحسن بها إلى مختلف الدين بين بهم سبوب، تكفيهم مئونة الحاجة إلى الناس جميعا لا يجمعهم بهم نسب[٢]. فحقوق القرابة وتوثقها لا تقف عند من ترتبطهم علاقة النسب والقرابة فقط، ومن ثم فهي ليست تعصبية، وإنما هي بطبعه تجمع وانطلاق نحو التآخي الوطني العام

وقد كانت خلف هذا الاهتمام بكسر الذي أبداه، حين دعوة إصلاح الأسرة أسباب كثيرة، بعضها فكري وبعضها يرجع إلى تكوينه الوظيفي الذي تمرد على الأسرة الأبوية التقليدية، وهو في هذا الباب كان يدعو إلى إصلاح مصري أصيل يكون من شأنه أن يحمل عليه الخلق في عالم يتغير بسرعة مذهلة، والانطلاق بالناس لكي يرتفعوا على العلاقات الأسرية الضيقة التي لا تتجاوز حدود النسب والعائلة التي تجتمع لأسباب واهية، وقد ساعد كثيرا هذا الجانب من دعوته للإصلاح وقد جرى في هذا الخط بعض الدارسين، وخاصة في عصرنا الحاضر، ممن ترجموا عن قصد تفسد العلاقات بين الأقارب وتفعل فعلها في تفكك المجتمع، وعلى إحدى دراساته هذه تقول

٢ مصر الدين ج٥ ص ٢٦

[illegible] استشهد بالأستاذ [illegible] كتب قاضيا في إحدى محاكم الحرفيه. أن نحو ٧٥ في المائة من انفصال بين الأقرب بعضهم مع بعض، ثم لم يحمل عنه غير البغض وحب الوقيعة والكيد، فهل من المعقول أن يكون سبب في العلائق بصعبة في هذا الحد من التصرم والبعد عن تصرم العلائق بوصفه؟! هل يمكن بعد أن نفقد الروابط الضرورية بين العلاقات أن نبحث عن الروابط بتحديقه الكبرى؟ أليس هذا كمن يضب الشجر من عروقه الشجر بعد أن حدد غصونه وجذوره، وقطع أغصان عروقه، وعذرها قطع خطاب بأنه [illegible]؟

يجب بعض [illegible] على العلاقات الأسرية لأنه لا يمكن على فكر الأستاذ الإمام أن يحدد هذه العقدة بالنسبة لكامنه في قلب المجتمع يشير أن على أن [illegible] الرابطة الأسرية [illegible] وبعد هي جزء من جذور المجتمع [illegible]

[illegible]

...

...

...

قد استهدف هذا الجانب من الإصلاح إصلاح الأسرة باعتبارها
بيئة الأولى في المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان

٢٢٨

وفي هذا الجانب الأسري لإصلاح الأسرة
يتعلق هذا الجانب بما جاء في حديثه كلام الشيخ
حول قضية المرأة باعتبارها البيئة الأساسية الكبرى من
قضية المرأة فيه ويتضح هذا من خلال الإصلاحيه التي
شهدها مصر في عشرينيات القرن الماضي حيث ظهرت
قضية المرأة ولاسيما في جانبها المتعلق بالحجاب
باعتباره من أجل كشفها، والانتصار فيها على تقاليد الماضي
وهذه المعالجات تتلخص في قولين في هذا الميدان وهي

١ قضية تعليم المرأة

٢ قضية الحجاب

٣ تعدد الزوجات

وقضية تعليم المرأة تتحدث الأستاذ الإمام عن
الجهل الذي كان يعيش فيه المرأة في عصره وما

نساء قد شُرب نسهن ومن نعم ي يحب عنهن في
ديهن و نياهن بسر لا يدري متى يرتع. ولا يخطر
دلدن أن يعصم عنده ؛ يؤدين فريضه سوى لصوم.

وهو يعني أن يكون هذ لخهن هو سبب العقه و لحده؛ كما
كان يزعم خصوم تعليم النساء، ذلك أن

ه يحافظ عليه من نعقه ذي هو يحكم بعده وحرس
خده، و فصل حد من مورث الاعتقاد بحلال وحرمه
وكيف ذي هذ لوضع بنساء ي ن تُصبح حتو
دهانهن الخرافات، وملأ أحديثهن السُرهت انهم
لا عقلا منهم لا يستغرق بدقيقه عدهن ؛

وبعد ذلك رحا قد وجب عليكا تعليم ه ه ي
نهض شا ه لقه مسند د من هذ تعليمات تكون خطوه
مساعة لهم ا رس تعليم نساء و ه ه ي
يستطيعهن من هو مستعد و مستعدات لهذ لموضوع
وقد رفع عن كاهل خصوصا خصوصات من و ا رس يع نساء
و سيم من قد حا بحاجه ملحه إلى تعليم نساء ؛

٢٠٥ ... ٢
... ٢٠٥ ٢٠٢

[illegible]

المادة الأولى

[illegible]

المادة الثانية

[illegible]

٦ الأعمال الكاملة ج ٦ ص ٣٧٩ وما بعدها

[illegible]

المادة الثالثة

[illegible] الطلاق،
[illegible] أن تبعث حكمًا من أهل
[illegible] أو غيرهم من الأجانب
[illegible]

المادة الرابعة

[illegible] الحكمان في الإصلاح بين الزوجين
[illegible] المختص بالطلاق
[illegible]

المادة الخامسة

لا يصح الطلاق إلا إذا وقع أمام القاضي أو نائبه
[illegible]

[illegible] الحكم [illegible] الزوجة على [illegible] وعلى حد [illegible] [illegible] لأنه يهدف إلى [illegible] [illegible] أسرة حكيمة ومحكومة، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى لو كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] موقف [illegible] من مشكلة [illegible] [illegible] [illegible] إصلاحه [illegible] [illegible] [illegible]

وعندما تعرض [illegible] الإسلامية في تعدد الزوجات نجد أنها قد علقت إباحة التعدد على شرط التحقق من عدم الجور والقطع بأن هذا التعدد غير متصور التحقق في الواقع، وإنما قال الموقف هو وجوب الاقتصار على الواحدة [illegible] هذا التعدد [illegible]

قد أرخت الشريعة المحمدية للرجل الأمر الذي يرى فيه المصلحة له ولها، لكنها من ناحية أخرى قيدته بشرط العدل بينهن، ولا يتحقق هذا العدل لأكثر من زوجة واحدة، قال تعالى ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ [النساء: ٣]. فإذا لم يستطع إعطاء كل منهن حقها من النفقة والمبيت وساءت معيشة العائلة أتاح الإسلام الوعيد الشرعي، وذلك بالأمر الدقيق الحاسم الذي لا يحتمل تأويلا ولا تحويلا، يحول جميع بين الزوجات عند توهم عدم القدرة على العدل بين الضرائر فضلا عن تحققه!!

وهذا نفس [illegible] على ضوء آية ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ [النساء: ٣] ويرى أن

الإسلام حينما يأمر بالاقتصار على الواحدة إذا لم تتوفر العدل كما هو مشاهد، وإذا لم يتصور [illegible]

طلب التعدد في الزوجات قد يحب عليهم سرعة من التعدد!!

على أحضر في فن الأسر لا م ا يعلق بعد مواضيع، وأشر صفحتي هذه حكم تعدد الزوجات بمختصة حسبه وقد وجدت هذه الحلقة التي أحب أن أضع على بداية سلسلة تدور حول هذا الموضوع، فسوف نسعى في هذه الحلقة بعدد من الآراء والأحكام التي تلم بكل جوانب القضية، حتى تحدد فيها الأسباب الأساسية التي تدعو إلى تعدد الزوجات.

[illegible] تعدد الزوجات [illegible] حقائق شرعية وأسباب حقيقية [illegible] يستطيع بها على الغرب والغربيين فهم [illegible] شعار "الحرية" و"التعدد" [illegible] تعدد في العصر الحديث [illegible] "الحرية" و"التعدد" [illegible] حول تعدد الزوجات [illegible] الإسلامي [illegible]

مقصده على [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

٢ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أعداء الرجل في مجتمعات غربية لمذهبه، ومنهم المجتمع العربي
[illegible] [illegible] [illegible] أسهم في شيوع هذا المفهوم هم أولئك الذين
[illegible] لأنفسهم [illegible] [illegible]، شروه في هذه المجتمعات، فأخذوا في
حملة الشنيعة لإسباغ ما لديهم من شهوات

٣- أن الإسلام - على عكس ما يزعم الكتاب الأوربيون -
[illegible] [illegible] الجاهلية وموقف اجتماعي من هذه الموضوعات [illegible]
صحيحة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] موقف إصلاحي يهدف إلى [illegible]
[illegible]

فقد كان [illegible] [illegible] دون حد محدود، فوقف له الإسلام
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الإسلام قد فتح عيونهم على حقيقة ما يعانيه المسلمون في العصر الحديث بحسبانهم أن هذا الواقع هو موقف الإسلام

٤ الإسلام منهج رباني يعلم الناس كيف يخرجون من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن تكفيرهم للبشر يتوجهون بهم نحو الإيمان بالله، فالإسلام إذن كما يعلم الناس يجذبهم إلى علمه، ويحثهم أن لا يقسوا قلوبهم بالكفر والجحود، وأن يصفي فيهم الروحية فتأكل أموالهم بالباطل ويسفكون دماءهم ويكفرون بعضهم بعضا، فالكل من نفس واحدة ومن أصل واحد إلى آخره، فهو يسعى بحث الناس على التفكير في ضوء هذه الحقائق

٥ أن الإسلام قد اشترط لحل بعض المشاكل في حالة تعدد الزوجات في صورة معينة هي عدم الخوف من الظلم وحتى لا يقع الظلم على الزوجة الواحدة، فالموقف ليس موقف تعدد، بل الموقف هو الزوجة الواحدة، ولو عقل شرط العدل لما وجد المتزوجون على الواحدة

٦ ثم يعرض لمفهوم الرقيق، الذي كانت له بقايا منحوتة في بعض المجتمعات الإسلامية على عصره فيقول: الإسلام لم يحد من الرقيق، بل سد جميع المنابع التي كانت تؤدي إلى وجوده

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في جانبه ما إذا كانت الزوجة عقيمة، فإن للقاضي أن يتحقق من قيام الضرورة «الضرورة الإلحاحية»، فيبيح له الزواج بأخرى غير الزوجة العقيم[١٢]

ويبدو أن الرجل بموقفه هذا قد استخرج من نص القرآن الكريم بمعقوله المستنير أحكاماً شبيه بالثورة على ذلك الواقع المتخلف الذي عاشته المرأة المسلمة، بسبب هذا التعدد، ولا تزال تعيشه حتى الآن، وهي أحكام لا زالت في انتظار من يضعها في التطبيق

فتوى في تعدد الزوجات

السؤال الأول

ما مستند تعدد الزوجات في بلاد العرب أو في غيرها من حملة قبس بعثة النبي ﷺ؟

الجواب

ليس تعدد الزوجات من خواص المشرق، ولا وحده الزوجة من خواص المغرب، بل في الشرق شعوب لا تعرف غير الزوجة

---

١٢ [illegible]

[illegible] وفي [illegible] شعوب [illegible] [illegible] [illegible]

فسبب الإكثار من الزوجات إنما هو الميل إلى التمتع بلذة المعروفة وبكثرة النساء. وقد كان العرب قبل البعثة في شدة وعناء شديد، وكانوا يكثرون من الزوجات، فكان عند الرجال يقتصر النسل فيبقى كثير من النساء بلا أزواج، فمن كانت عنده قوة بدنية وسعة في المال كانت تذهب نفسه وراء التمتع بالنساء فيجد منهن ما يرضي شهوته، ولا يرى نفسه من زوجة إلى أخرى، عادم في بعضه قوة، وفي ماله سعة

وكان العرب يتزوجون بالنساء بلا استرفاق، ولكن لا يستكثرون من ذلك إلا من كان يرجو أحد سببين فيختار منهن واحدة، ثم يورع على زوجته عاشق واحدة واحدة، ولم يعرف أن أحدا منهم اختار لنفسه عدة منهن ووهب لأحد زوجاته كذلك دفعة واحدة

السؤال الثاني

على أي صورة كان الناس يعتبرون هذه العادة في [illegible] خاصة؟

جواب

كان عندهم على مذهب [illegible] وحدة
واحدة، أو يسري وُحد سرية بعد أخرى، أو جميع سريه إلى زوجة
أو واحدة من سريته، ولم يكن يسمى إلا عند الشهرة لا يرجع
فيهن حتى، ولا يؤخذ فيهن بعد ذلك حتى الإسلام فسرح له
الحقوق وفرض فيهن العدل

السؤال الثالث

كيف أصبح [illegible] هذا العدد، وكيف كان فهمهم؟

جواب

[illegible] وحي [illegible] مع [illegible] كما ذكرنا لا
فرق بين متزوجة وسرية في تعدده، ولا حدّ له ينتهي
إليه حتى من الزوجات، فأراد الله أن يجعل في شرعه [illegible]
جميع [illegible] ويقرر حقوقهن وحكمهن على [illegible]
سائغ، وليس الأمر كما يقول كتبة الأوربيين [illegible]
كان عند العرب عادة جعله الإسلام دينا، فإنه أخذ
الإفرنج ما دهمهم إليه من سوء سمعة المسلمين
بتعددهم وليس له مأخذ صحيح منه

حكم تعدد الزوجات جاء في قوله تعالى في سورة النساء

﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ (النساء، ٣)

كان الرجل من العرب يكفل اليتيمة، فيعجبه جمالها ومالها، فإن كانت تحل له تزوجها وأعطاها المهر دون ما تستحق، وأساء صحبتها والإنفاق عليها، وكل مالها فنهى الله المؤمنين عن ذلك، وشدد عليهم في الامتناع عنه، وأمرهم أن يؤتوا اليتامى أموالهم، وحذرهم من أن يأكلوا أموالهم إلى أموالهم [illegible] الضعف لليتيمات بجركم إلى ضمهن، وخصهن بالذكر لأنهن [illegible] وخصوهن بأن يضعفن فيكم ضعف [illegible] موالهن ونسبه يوهن، فدونكم النساء سواهن، فانكحوا ما يطيب لكم منهن من ذوات جمال ومال من واحدة إلى أربع، وبكن ذلك على شرط أن تعدلوا بينهن، فلا يباح لأحد من المسلمين أن يزيد في الزوجات على واحدة إلا إذا وثق بأن يرعي حق كل واحدة منهن،

وتقوم بينهن بالعصبة، ولا تفضل إحداهن على الأخرى
في [illegible] بعضهن ضرائر
عن عائشة [illegible] فوق إحداهن [illegible]
[illegible] يحب عليه أن يحكمي بها [illegible]

[illegible] محرد الإباحة على شرط العدل، فإن لم تجز منعت
[illegible] على الوحدة وليس في ذلك ترغيب في تعدد
[illegible] في الآية الأخرى
[illegible] كل من قدروا كلمة ولن تصنعوا وتنفوا عن الله
كل عجز [illegible] النساء ١٢٩)

[illegible] تعدد عن مستطرع، وخوف من عدم تعدد
الوحدة لاقتصر على الواحدة، فما أعظم خير في
[illegible]

[illegible] حقوق الإكثار من الزوجات، ووقف عند
[illegible] شدد الأمر على المكثرين في حد لو عقوه
[illegible]

وأما المملوكات من النساء فقد جاء حكمهن في قوله
[illegible]
[illegible] لأن سيده لا
[illegible]
وقد اتفق المسلمون على أنه يجوز للرجل [illegible]
[illegible]
بقولهم [illegible]
بعددٍ إلى الأربعة فقط، وبشرط في الإباحة تحقق
من بعدد فيكون معنى أنه إذا خيف جور وجب
الاقتصار على الواحدة من الزوجات أو أحد العدد
[illegible] ملكت الأيمان، فلا يباح من النساء فوق
الأربع على كل حال، ويباح الأربع بدون فرض تعدد
في المملوكات دون الزوجات، لأن المملوكات ليس لهن
حقوق في العشرة على سادتهن، إلا ما كان من حقوق
تعبد على سيده، وحق تعبد على سيده أن يطعمه
مما يكسوه ولا يكلفه من العمل في خدمته إلا بقدر
[illegible] فلا

[illegible] المسلمين لما جاء في دينهم من هذه
[illegible] فرض في الأسرة من
[illegible] وقسوة بعضهم على بعض وعقوق الوالدين
[illegible] بروتهم

[illegible] الأسباب التي تصح بها الفرقة بين الزوجين، فهي أمور
[illegible] قضت بها الضرورة عند تعذر الدعوة
الدعوة إليه بشروطها، ولا يكون عند الأسير إلا غير
مسلمات ثم تحول بعضهن بعد ذلك وإن كن مسلمات
[illegible] مصير المسلمين على عبيده من الرق، وحتى
[illegible] عليهم في الأسر لا تجيز لهم أن يمسوا من
شيء فيما يشترونه من بنات الجركسية المسلمين للاتي
[illegible] وفي نفس الوقت من السود بنات
الاتي يختطفهن الأشقياء لسلبهن المعروف بالأسر حتى
[illegible] ليس بمشروع ولا معروف في دين الإسلام، وقد هو
[illegible] بل حقيقة لكن لا حقيقة للعرف، بل حقيقة
[illegible]

[illegible] حول بطلان هذه العادة، أي عادة تعدد الزوجات
[illegible]

أن أولاً: فلأن شرط التعدد هو التحقق من العدل، وهذا الشرط مفقود احتمالاً فإن وجد في واحد من المليون فلا يصح أن نتخذ قاعدة، ومتى كان التعدد على النفوس، وصار من المرجح الا يعدل الرجل في زوجاتهن جاز للحاكم أو المعالج أن يمنع التعدد مطلقاً من باب الأولى.

وثانياً: فقد ثبت سوء معاملة الرجال لزوجاتهن عند التعدد، وحرمانهن من حقوقهن في النفقة والراحة، وبهذا يجوز للحاكم وقائم على الشرع أن يمنع التعدد سداً لهذه المفسدة.

وثالثاً: فقد ظهر أن منشأ الحسد والعداوة بين الأولاد هو اختلاف أمهاتهم في كل بيت فيهن من يحرض أولادها على بغض أولاد ضرتها فلا يسع أولاد أحدهم إلا أن يبغضوا كل من يمت لأولاد الآخر ويسمع من أمهم في حق أخوتهم وأبيهم ما يحملهم على بغضهم وهذا يجوز للحاكم أو لصاحب المنزل أن يمنع التعدد وحسم مادة هذه المفسدة بالتبعيد عن مفسدة

خاتمة

[illegible] عن بعض معالم في مشروع حضاري للإمام محمد عبده، الذي كانت الوسطية فيه منهجاً للإصلاح بالإسلام

وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (البقرة ١٤٣).

ورحم الله الإمام محمد عبده الذي قال

[illegible] الإسلام [illegible] وإنما كتبت لمستحضر [illegible] أقصد بتصانيفي جمع [illegible] ولا أكسر حكمة من شريع لأحكام إلا بمقدار [illegible] وإنما أقصد لإبانة حكم [illegible] لأحكام فيها [illegible] الإسلام، فما كتبته لأمم التي رجعت فيه عن سواها من لم تشعر فيه، فكان المدرسة الأولى التي نرقى فيها [illegible] على سلم الله ورسوله سبيل المتدين يريد الإصلاح في المسلمين سبيل لا محيد عنه

ورحم الله جمـــال الدين الأفغاني ـ أستاذ محمد عبده ـ الذي قال:

إنا ـ معشر المسلمين ـ إذا لم يؤسَّس نهوضنا وتمدننا على قواعد ديننا وقرآننا، فلا خير لنا فيه، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق. وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة فينا من حيث الرقي والأخذ بأسباب التمدن هو عين التقهقر والانحطاط، لأننا في تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوربية، وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب، والاستكانة لهم، والرضا بسلطانهم علينا، وبذلك تتحول صبغة الإسلام ـ التي من شأنها رفع راية السلطة والغلب ـ إلى صبغة خمول وَ ضعَة واستئناس لحكم الأجنبي.

إن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها، وفيه سر سعادته، وعليه مدارها، وهو السبب المفرد لسعادة الإنسان. ولقد بدأ الخلل والهبوط في تاريخنا، من طرح أصول الدين، ونبذها ظهرياً، والعلاج إنما يكون برجوع الأمة إلى قواعد دينها، والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته، ومن

طلب إصلاح الأمة بوسيلة سوى هذه، فقد ركب بها شططاً، ولن يزيدها إلا نحساً، ولن يكسبها إلا تعساً،

وصدق رسول الله - ﷺ - إذ يقول فيما رواه الطبراني:

(يحمل هذا الدين من كل خلف عُدوله، ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين، وإذ يقول يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها رواه أبو داود -

فلقد كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مشروعاً نهضوياً لتجديد دين الإسلام، كي تتجدد به دنيا المسلمين، عليه رحمة الله.

المصادر

الأفغاني، جمال الدين. الأعمال الكاملة. دراسة وتحقيق محمد عمارة. القاهرة، ١٩٦٨.

الإبراهيمي، محمد البشير. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي. بيروت، ١٩٧٧.

العقاد، عباس محمود. محمد عبده. سلسلة أعلام العرب. القاهرة.

أمين، قاسم. الأعمال الكاملة. دراسة وتحقيق محمد عمارة. بيروت، ١٩٧٦.

رضا، محمد رشيد. تاريخ الأستاذ الإمام. القاهرة، ١٩٣١.

عبد الرازق، علي. الإسلام وأصول الحكم. القاهرة، ١٩٢٥.

عبده، محمد. الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده. دراسة وتحقيق محمد عمارة. القاهرة، ١٩٩٣.

عبده، محمد. الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده. دراسة وتحقيق محمد عمارة. بيروت، ١٩٧٢.

ISBN 977-6163-32-7